آطام المدينة بالجزيرة العربية في الجاهلية والإسلام

" دراسة آثارية حضارية "

أ.د / عبد الله كامل موسى عبده

أستاذ الآثار والحضارة الإسلامية

وعميد المعهد العالي لحضارات الشرق الأدنى القديم

مقدمة:

يزخر تاريخ وحضارة وآثار المدينة المنورة بشكل خاص، والجزيرة العربية بشكل عام في الجاهلية والإسلام بذكر الآطام [١] (الجمع القليل)، أو الأطوم (الجمع الكثير)، التي كانت تقام عند العيون وآبار المياه على طول طرق القوافل الممتدة عبر الجزيرة العربية [٢] ، فقد كانت الآطام بالنسبة لأهل المدينة خاصة تمثل عزهم من جهة، ومنعتهم من جهة أخرى، وكان ابتكار هذا النوع من المنشآت المعمارية سواء السكنية، أو الحربية، أو السكنية والحربية في آن واحد في المدينة موغلاً في القدم من عصور ما قبل الإسلام [٣] حتى عصر النبي، صلى الله عليه وسلم، عندما أسس الدولة الإسلامية، وحول يثرب والقرى المجاورة لها إلى المدينة، وقد يكون تطور أول ما تطور فيها، حتى أنها عرفت في الشعر بربة الآطام، وقد أشار القرآن الكريم – والله أعلم - إليها بالحصون عندما قص علينا أخبار غزوتي بني النضير، وبني قريظة، كما وردت بلفظها في الحديث النبوي الشريف، حيث باركها النبي، صلى الله عليه وسلم، ونهى، صلى الله عليه وسلم، عن بناء آطام جديدة، وفي الوقت نفسه نهى عن هدمها، كذلك وردت بلفظها في المصادر، التي أشارت إليها أيضًا بمصطلح الصياصي، وهو المصطلح القرآني الذي أطلق - والله أعلم – على الآطام.

وقد جاءت هذه الآطام من حيث التكوين المعماري تنقسم إلى ثلاثة أنماط على النحو الآتي:

أ- عبارة عن بيوت، أو قصور مرتفعة على هيئة الحصون بملحقاتها، لذا فهي تصنف في العمارة السكنية، وهذا النمط هو الغالب على بناء الآطام.

ب- عبارة عن حصون عالية منيعة خالية من البيوت، أو القصور، أي يشيدونها ويتحصنون فيها للقتال فقط، لذا فهي تصنف في العمارة الحربية.

ت- عبارة عن حصون عالية منيعة تضم في داخلها البيوت، أو القصور، لذا فإن هذا النمط يجمع في آن واحد بين العمارتين السكنية والحربية.

أما من حيث التخطيط المعماري فقد جاءت على ثلاثة طرز على النحو الآتي:

أ- الطراز المعماري المربع، وهو الطراز الغالب سواء في المدينة، أو خارجها.

ب- الطراز المعماري شبه المربع، أو المستطيل.

ت- الطراز المعماري المستدير.

وقد كانت في معظمها من الناحية المعمارية تتألف من طبقات، حيث كانت تتسم بالفخامة والارتفاع، ولها آبار، ورحاب، وغير ذلك داخلة فيها تعد من مكوناتها المعمارية، فضلاً عن سمات وخصائص عديدة أخرى سوف يتناولها البحث سواء في الجاهلية، أو الإسلام.

وينقسم هذا البحث إلى ثلاثة محاور يمكن عرضها على النحو الآتي:

١- المدينة والآطام لغة واصطلاحًا.

- أولاً: المدينة.
- ثانيًا: الآطام.

٢- تاريخ وعمارة الآطام في الجاهلية.

٣- تاريخ وعمارة الآطام في الإسلام.

وقد وقع الاختيار على دراسة تلك الآطام من الجانبين الآثاري والحضاري في العصرين الجاهلي والإسلامي لكي تكتمل دراستها من كافة الجوانب، خاصة مع وجود بعض الدراسات الأخرى الهامة في هذا الصدد، ومن أهم هذه الدراسات التي تطرقت إلى هذه الآطام، خاصة من الجانب اللغوي:

الدراسة العربية التي قام بها مدني، عبيد بعنوان "أطوم المدينة المنورة"، مجلة كلية الآداب بجامعة الرياض (جامعة الملك سعود حاليًا)، المجلد الثالث، السنة الثالثة، ١٣٩٣-١٣٩٤هـ/١٩٧٣-١٩٧٤م.

والدراسة العربية الأكثر شمولية التي قام بها عثمان، محمد عبد الستار بعنوان "آطام المدينة المنورة"، موسوعة مكة المكرمة والمدينة المنورة، مؤسسة الفرقان للتراث الإسلامي، فرع موسوعة مكة المكرمة والمدينة المنورة، ١٤٢٨هـ/٢٠٠٧م.

- المحور الأول:
- أولاً: المدينة:

ذكرها ياقوت الحموي (المتوفى سنة ٦٢٦هـ/١٢٢٩م) بما نصه:"مدينة يثرب [٤]... وهي مدينة الرسول [٥] ، صلى الله عليه وسلم... أما قدرها فهي في مقدار نصف مكة [٦] ، وهي في حرة سبخة الأرض ولها نخيل كثيرة ومياه، ونخيلهم وزروعهم تسقى من الآبار عليها العبيد... وبقيع الغرقد خارج المدينة من شرقيها، وقباء [٧] خارج المدينة على نحو ميلين [٨] إلى ما يلي القبلة، وهي شبيهة بالقرية، وأحد جبل في شمال المدينة وهو أقرب الجبال إليها مقدار فرسخين [٩] ، وبقربها مزارع فيها نخيل وضياع لأهل المدينة، ووادي العقيق [١٠] فيما بينها وبين الفرع، والفرع من المدينة على أربعة أيام في جنوبيها". [١١]

وقد أورد الزركشي (المتوفى سنة ٧٩٤هـ/١٣٩١م) عند ذكر أسماء المدينة:" وهو المشهور، المدينة، قال تعالى في سورة التوبة:﴿ مَا كَانَ لِأَهْلِ ٱلْمَدِينَةِ وَمَنْ حَوْلَهُم مِّنَ ٱلْأَعْرَابِ أَن يَتَخَلَّفُوا۟ عَن رَّسُولِ ٱللَّهِ وَلَا يَرْغَبُوا۟ بِأَنفُسِهِمْ عَن نَّفْسِهِۦ ۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ لَا يُصِيبُهُمْ ظَمَأٌ وَلَا نَصَبٌ وَلَا مَخْمَصَةٌ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلَا يَطَـُٔونَ مَوْطِئًا يَغِيظُ ٱلْكُفَّارَ وَلَا يَنَالُونَ مِنْ عَدُوٍّ نَّيْلًا إِلَّا كُتِبَ لَهُم بِهِۦ عَمَلٌ صَٰلِحٌ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١٢٠﴾ ﴾. وقال تعالى في سورة التوبة:﴿ وَمِمَّنْ حَوْلَكُم مِّنَ ٱلْأَعْرَابِ مُنَٰفِقُونَ ۖ وَمِنْ أَهْلِ ٱلْمَدِينَةِ مَرَدُوا۟ عَلَى ٱلنِّفَاقِ لَا تَعْلَمُهُمْ ۖ نَحْنُ نَعْلَمُهُمْ ۚ سَنُعَذِّبُهُم مَّرَّتَيْنِ ثُمَّ يُرَدُّونَ إِلَىٰ عَذَابٍ عَظِيمٍ ﴿١٠١﴾ ﴾ وهي إذا أطلقت أريد بها دار الهجرة التي فيها بيت رسول الله صلى الله عليه وسلم، ومنبره وقبره. ثم قال قطرب وابن فارس: وغيرهما إنها مشتقة من دان إذا أطاع. والدين: الطاعة، فتكون الميم على هذا زائدة، وقيل: من مدن بالمكان إذا أقام به فتكون الميم أصلية.

وجمعها مدن بضم الدال وإسكانها، ومدائن بالهمزة وتركه. وترك الهمزة أفصح، وبه جاء القرآن...". (١٢)

وأورد ياقوت الحموي فيما يتعلق بالنسب إليها ما نصه:"ذكر ابن طاهر بإسناده إلى محمد بن إسماعيل البخاري قال: المديني هو الذي أقام بالمدينة ولم يفارقها، والمدني الذي تحول عنها وكان منها، والمشهور عندنا أن النسبة إلى مدينة الرسول مدني مطلقًا وإلى غيرها من المدن مديني للفرق لا لعلة أخرى، وربما رده بعضهم إلى الأصل فنسب إلى مدينة الرسول أيضًا مديني، وقال الليث: المدينة اسم لمدينة رسول الله خاصة والنسبة للإنسان مدني، فأما العير ونحوه فلا يقال إلا مديني، وعلى هذه الصيغة ينسب أبو الحسن علي بن عبد الله بن جعفر بن نجيح السعدي المعروف بابن المديني... ولهذه المدينة تسعة وعشرون اسمًا (١٣)". (١٤)

وفي ذلك أورد الزركشي:"وعن الفارسي: المدينة فعيلة. والمدينة، مدينة الرسول صلى الله عليه وسلم غلب عليها تفخيمًا، وإذا نسبت إلى المدينة فالرجل والثوب مدني والطير مديني قال سيبويه، وأما قولهم: مدايني فإنهم جعلوا البناء اسمًا للبلد، وقال ابن دحية في خصائص الأعضاء النسب إليها مديني وإلى مدينة أبي جعفر المنصور وهي بغداد مدني لأن الميم فيها أصلية والياء زائدة". (١٥)

وقد أورد ابن النجار (المتوفى سنة ٦٤٧هـ/١٢٤٩م) في دعاء النبي صلى الله عليه وسلم للمدينة بالبركة ما نصه:"أنبأنا محمد بن علي الحافظ... عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه: خرجنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى إذا كنا بالسقيا التي كانت لسعد بن أبي وقاص فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم:"ائتوني بوضوء"، فلما توضأ قام فاستقبل القبلة ثم كبر وقال "اللهم إن إبراهيم

كان عبدك وخليلك ، دعاك لأهل مكة بالبركة، وأنا محمد عبدك ورسولك أدعوك لأهل المدينة أن تبارك لهم في مدهم وصاعهم مثل ما باركت لأهل مكة مع البركة بركتين". (١٦)

وقد درج جمهرة ممن كتبوا عن الآطام على القول بأنها حصون المدينة، أو أكثر ما يسمى به حصون أهل المدينة سواء من اللغويين (١٧) ، أو الجغرافيين (١٨) ، أو سواهم، وواصل الشعراء نعت المدينة بذات الآطام حتى بعد أن تقلص شأن الآطام، فهذا يزيد بن عبيد الله الأشجعي، المعروف بجبيهاء، الذي عاش في العصر الأموي (٤٠/٤١-١٣٢هـ/٦٦٠/٦٦١-٧٤٩م) يقول في مطلع قصيدة:

قالت أنيسة دع بلادك والتمس دارًا بطيبة ربة الآطام (١٩)

والواقع – كما يذكر مدني – أن المدينة لم تنفرد بوجود الآطام فيها، بل وجدت الآطام في اليمامة (٢٠) ، وخيبر (٢١) ، وتيماء (٢٢) ، والطائف (٢٣) ، كما وجدت في صنعاء (٢٤) ، ونجران (٢٥) ، وغير ذلك، وكان ابتكار هذا النوع من المنشآت المعمارية سواء السكنية، أو الحربية، أو السكنية والحربية في آن واحد في المدينة كان موغلاً في القدم، وقد يكون تطور أول ما تطور فيها.(٢٦)

- **ثانياً: الآطام لغة واصطلاحاً:**

قال ياقوت الحموي عند ذكره "أطم الأضبط" ما نصه:"الأطم: يقال بضمتين، وبضمة ثم السكون، والأطم والأجم بمعنى واحد، والجمع آطام وآجام: وهي الحصون، وأكثر ما يسمى بهذا الاسم حصون المدينة، وقد يقال لغيرها أيضًا، قال أوس بن مغراء:

بث الجنود لهم في الأرض يقتلهم، ما بين بصرى إلى آطام نجرانا

وقال زيد الخيل الطائي:

أنيخت، بآطام المدينة، أربعًا

وعشرًا، يغشي فوقها الليل طائر

فلما قضى أصحابنا كل حاجة،

وخط كتابًا في المدينة ساطر

سددت عليها رحلها وشليلها

من الدرس والشعراء، والبطن ضامر

وأما الأضبط: فهو الأضبط بن قريع بن عوف بن كعب بن سعد بن زيد مناة بن تميم، وكان أغار على أهل صنعاء فلما انتصف منهم وملكهم بنى بها أطمًا نسب إليه".(٢٧)

وفي هذا الإطار قال ابن منظور:"أطم: الأطم: حصن مبني بحجارة، وقيل: هو كل بيت مربع مسطح، وقيل: الأطم مثل الأجم، يخفف ويثقل، والجمع القليل (٢٨)آطام وآجام، قال الأعشى:

فإما أتت آطام جوً وأهله،

أنيخت فألقت رحلها بفنائكا

والكثير أطوم (٢٩)، وهي حصون لأهل المدينة ، قال أوس بن مغراء السعدي:

بث الجنود لهم في الأرض مقتلهم

ما بين بصرى إلى آطام نجرانا

والواحدة أطمة مثل أكمة، وباليمن حصن يعرف بأطم الأضبط، وهو الأضبط [٣٠] بن قريع بن عوف بن سعد بن زيد مناة، وكان أغار على أهل صنعاء وبنى بها أطمًا وقال:

وبنيت أطمًا في بلادهم،

لأثبت التقهير بالغضب [٣١]

ابن سيده وغيره: الأطم حصن مبني. ابن الأعرابي: الأطوم القصور. وفي حديث بلال: أنه كان يؤذن على أطم، الأطم، بالضم: بناء مرتفع، وجمعه آطام. وفي الحديث: حتى توارت بآطام المدينة يعني بأبنيتها المرتفعة كالحصون [٣٢]. ابن بزرج: أطمت على البيت أطمًا أي أرخيت ستوره. والتأطيم في الهودج: أن يستر بثياب، يقال: أطمته تأطيمًا، وأنشد:

تدخل جوز الهودج المؤطم.[٣٣]

أما مصطلح الحصن [٣٤] فقد ذكره ابن منظور بما نصه:"حصن المكان يحصن حصانة، فهو حصين: منع، وأحصنه صاحبه وحصنه. والحصن: كل موضع حصين لا يوصل إلى ما في جوفه، والجمع حصون. وحصن حصين: من الحصانة. وحصنت القرية إذا بنيت حولها، وتحصن العدو. وفي حديث الأشعث: تحصن في محصن، المحصن: القصر والحصن، وتحصن إذا دخل الحصن واحتمى به...".[٣٥]

وفي هذا الإطار ذكر مدني أن من اللغويين من عني بفقه اللفظة واشتقاقها وكأنهم قصدوا ربط الصلة بين الهيكل وبين الأصل اللفظي، وفي طليعتهم ابن فارس، وهو من أعلام القرن الرابع الهجري/العاشر الميلادي، الذي يقول:"الهمزة والطاء والميم يدل على الحبس والإحاطة بالشيء يقال للحصن أطم"، ونحا نحوه صاحب لوامع النجوم في تهذيب شمس العلوم فقال:"... فعال بالضم الآطام احتباس البطن وبالكسر كل شيء أحاط بشيء فهو له إطار كإطار المنخل".(٣٦)

وقد أضاف مدني (٣٧) أن لفظة أطم لم ترد في القرآن الكريم، ولكنه عندما قص علينا أخبار غزوتي بني النضير وبني قريظة أشار – والله أعلم - إلى الآطام بالحصون (٣٨) في سورة الحشر في غزوة بني النضير، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَخۡرَجَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنۡ أَهۡلِ ٱلۡكِتَٰبِ مِن دِيَٰرِهِمۡ لِأَوَّلِ ٱلۡحَشۡرِۚ مَا ظَنَنتُمۡ أَن يَخۡرُجُواْۖ وَظَنُّوٓاْ أَنَّهُم مَّانِعَتُهُمۡ حُصُونُهُم مِّنَ ٱللَّهِ فَأَتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِنۡ حَيۡثُ لَمۡ يَحۡتَسِبُواْۖ وَقَذَفَ فِي قُلُوبِهِمُ ٱلرُّعۡبَ يُخۡرِبُونَ بُيُوتَهُم بِأَيۡدِيهِمۡ وَأَيۡدِي ٱلۡمُؤۡمِنِينَ فَٱعۡتَبِرُواْ يَٰٓأُوْلِي ٱلۡأَبۡصَٰرِ ۝٢ ﴾، وبالصياصي في سورة الأحزاب في غزوة بني قريظة، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَأَنزَلَ ٱلَّذِينَ ظَٰهَرُوهُم مِّنۡ أَهۡلِ ٱلۡكِتَٰبِ مِن صَيَاصِيهِمۡ وَقَذَفَ فِي قُلُوبِهِمُ ٱلرُّعۡبَ فَرِيقٗا تَقۡتُلُونَ وَتَأۡسِرُونَ فَرِيقٗا ۝٢٦ ﴾.

والصياصي لغة من صيص، قال ابن منظور:"والصياصي: الحصون. وكل شيء امتنع به وتحصن به، فهو صيصة، ومنه قيل للحصون: الصياصي، قيل شبه الرماح التي تشرع في الفتنة وما يشبهها من سائر السلاح...".(٣٩)

وتفصيل ذلك فيما يتعلق بهذا المصطلح "الصياصي" وآطام منازل قبائل الأنصار أورد السمهودي (المتوفى سنة ٩١١هـ/١٥٠٦م) ما نصه:"... وكان في

رحبة بني زيد بن مالك بن عوف أربعة عشر أطمًا يقال لها الصياصي، وكان لهم أطم بالمسكبة شرقي مسجد قباء، وأطم يقال له "المستظل" كان موضعه عند بئر غرس...".(٤٠)

أما مصطلح القصر (٤١) فقد ذكره ابن منظور بقوله:"والقصر من البناء: معروف، وقال اللحياني: هو المنزل، وقيل: كل بيت من حجر، قرشية، سمي بذلك لأنه تقصر فيه الحرم أي تحبس، وجمعه قصور. وفي التنزيل العزيز: ويجعل لك قصورًا: والمقصورة: الدار الواسعة المحصنة... والمقصورة مقام الإمام، وقال: إذا كانت دار واسعة محصنة الحيطان فكل ناحية منها على حيالها مقصورة، وجمعها مقاصر ومقاصير...".(٤٢)

مما تقدم يتضح أن الآطام التي تميزت بها المدينة من جهة، وبعض بلاد الجزيرة العربية (٤٣) الأخرى مثل نجران، وصنعاء، وغيرهما سواء في الجاهلية، أو الإسلام قد اتسمت بعدة سمات وخصائص يمكن عرضها على النحو الآتي:

١-المادة البنائية من الحجر (٤٤) ، الذي كان يمثل المادة الأساسية في بنائها، وغالبًا ما كانت هذه الأحجار من النوع الأسود البازلتي، ولكن هناك من الآطام ما شيد من الحجر الأبيض (٤٥) ، مثل أطم الضحيان (٤٦) ، وقد استخدم لازب الطين والأصرة في تشييدها، وهي من المواد التي استخدمت غالبًا كمونة (٤٧) ، مثل أطم واقم، الذي بناه بنو عبد الأشهل

(٤٨) ، وكانت مادة الحجر، ومادة الخشب في التسقيف هي السمة البارزة في بناء هذه الآطام.

٢-جاءت من حيث التكوين المعماري تنقسم إلى ثلاثة أنماط يمكن عرضها على النحو الآتي:

أ- عبارة عن بيوت، أو قصور مرتفعة على هيئة الحصون بملحقاتها، لذا فهي تصنف في العمارة السكنية، مثل آطام منازل قبائل الأنصار من الأوس، وهي: واقم، والرعل، والمسير، والريان، والشنيف (٤٩) ، وهذا النمط هو الغالب على بناء الآطام.

ب- عبارة عن حصون عالية منيعة خالية من البيوت، أو القصور، أي يشيدونها ويتحصنون فيها للقتال فقط، لذا فهي تصنف في العمارة الحربية، فقد أورد السمهودي من هذا النمط أطم "صع ذرع"، وذلك بما نصه:"ونزل بنو خطمة... دارهم المعروفة بهم، وابتنوا بها الآطام، وغرسوا النخيل، فابتنوا بها أطمًا يقال له "صع ذرع" ليس فيه بيوت، جعلوه كالحصن الذي يتحصنون فيه للقتال، وكان لخطمة كلها، وكان موضعه عند مهراس بني خطمة، وإنما سمي "صع ذرع" لأنه كان عند بئر بني خطمة التي يقال لها ذرع" (٥٠)، ومثل أطم المزدلف، الذي بناه عتبان بن مالك للحروب فقط.(٥١)

ت- عبارة عن حصون عالية منيعة تضم في داخلها البيوت، أو القصور، لذا فإن هذا النمط يجمع في آن واحد بين العمارتين السكنية والحربية، ويتمثل هذا النمط في آطام رحبة بني زيد بن مالك بن عوف، وهي أربعة عشر أطمًا يقال لها الصياصي، وهي آطام منازل قبائل الأنصار من الأوس (٥٢).

٣-جاءت من حيث التخطيط المعماري على ثلاثة طرز يمكن عرضها على النحو الآتي:

أ- الطراز المعماري المربع، وهو الطراز الغالب على هذه الآطام سواء في المدينة، أو خارجها، وهي تتمثل في الآطام التي لم يرد فيها نص يخالف الشكل المربع مثل: آطام قبائل الأنصار من الخزرج، ومنها السنح، أو الريان، والأجرد، والشماخ.(٥٣)

ب- الطراز المعماري شبه المربع، أو المستطيل، فقد أورد السمهودي عند ذكره أطم "الضحيان" (٥٤) ما نصه:"وابتنى أحيحة بن الجلاح بالعصبة أطمًا يقال له "الضحيان" وهو الأطم الأسود الذي بالعصبة، وكان عرضه قريبًا من طوله، بناه أولاً من بئرة بيضاء فسقط، يعني من حجارة الحرار البيض. وكان يرى من المكان البعيد، وفيه يقول أحيحة:

وقد أعددت للحدثان حصنًا لو أن المرء تنفعه العقول

طويل الرأس أبيض مشمخر يلوح كأنه سيف صقيل (٥٥)

ت- الطراز المعماري المستدير، مثل أطم أبي دجانة، الذي بقيت آثاره في المدينة حتى القرن الرابع عشر الهجري/العشرين الميلادي.(٥٦)

وفي هذا الإطار (٥٧) ذكر الباشا أن هذه الآطام كانت في كثير من الأحيان ذات تخطيط مربع، ولم يذكر التخطيطين الآخرين، وهما: التخطيط المستطيل، والتخطيط المستدير.

٤-كانت في معظمها من الناحية المعمارية تتألف من طبقات، حيث كانت تتسم بالفخامة والارتفاع، ولها آبار، ورحاب، وأسوار، ومداخل حصينة تعد من مكوناتها المعمارية، مثل الأطم الذي عند بئر عائشة الواقفي من آطام منازل قبائل الأنصار من الأوس.(٥٨)

٥-تميزها في بعضها بالسعة والضخامة مثل آطام بني النضير، فقد أورد ابن هشام عند ذكره أمر إجلاء بني النضير ما نصه:"... وأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم بالتهيؤ لحربهم، والسير إليهم... فحاصرهم ست ليال... فتحصنوا منه في الحصون..." (٥٩) ، وفي ذلك نقل مدني عن الواقدي أن النبي صلى الله عليه وسلم أرسل إليهم عبد الله بن أبي المنافق يقول:"... وأقيموا في حصونكم فإن معي ألفين من قومي وغيرهم من العرب يدخلون معكم حصنكم..."، فجعلوا يتداولون الرأي فقال حيي بن أخطب"... نرم حصوننا ثم ندخل ماشيتنا وندرب أزقتنا وننقل الحجارة إلى حصوننا وعندنا

من الطعام ما يكفينا سنة وماؤنا واتن في حصوننا – وتن الماء دام ولم ينقطع – لا نخاف قطعه فترى محمدًا يحصرنا سنة ؟...".(٦٠)

٦-شيدت للقبيلة عامة، مثل آطام بني ناغصة، ومنها أطم الزبير، وأطم كعب بن أسد (بلحان) (٦١) ، أو لبعض البطون، مثل الأطم الذي كان في دار آل رويفع من آطام منازل الأنصار من الأوس (٦٢) ، أو لبعض الأشخاص الذين باعدت بينهم الفوارق المالية والاجتماعية، والذين كان لبعضهم أطم، مثل أطم مزاحم لعبد الله بن أبي سلول من قبائل الأنصار من الخزرج (٦٣) ، أو أكثر من أطم مثل أحيحة بن الجلاح الذي بنى واقمًا، والضحيان.(٦٤)

٧-لم تقتصر عمارتها بالمدينة على ما تمس إليه الضرورة، بل تعدتها إلى المباهاة في التظاهر والبروز بين رجالات المدينة في الجاهلية، مما يستلزم التأنق المعماري من جهة، والزخرفة من جهة أخرى، مثل الآطام التي عند بئر عذق، وغيرها.(٦٥)

٨-عرفت في بعضها بأسماء بعض النساء مثل أطم الزاهرية، وهي المرأة التي سكنته.(٦٦)

٩-كانت من الظواهر المميزة للمدينة سواء في الجاهلية، أو في الإسلام، فقد كانت تبعث في نفوس قاطنيها طمأنينة لم تعهد في غيرها من مدن الجزيرة العربية.

- عرفت في الإسلام بعض الوظائف الأخرى مثل إعلان الأذان وإعلام المسلمين بدخول وقت الصلاة شأنها في ذلك شأن المنارات، أو المآذن (٦٧) ، أو الصوامع (٦٨) ، أو المنار.

- **المحور الثاني**:

- **تاريخ وعمارة الآطام في الجاهلية**:

قال ابن منظور في تعريف الجاهلية:"والجاهلية: زمن الفترة ولا إسلام، وقالوا الجاهلية الجهلاء، فبالغوا... وفي الحديث: إنك امرؤ فيك جاهلية، هي الحال التي كانت عليها العرب قبل الإسلام من الجهل بالله سبحانه ورسوله وشرائع الدين والمفاخرة بالأنساب والكبر والتجبر وغير ذلك".(٦٩)

والجاهلية جاهليتان، الأولى ورد ذكرها في سورة الأحزاب، **قَالَ تَعَالَىٰ:** ﴿وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ ٱلْجَٰهِلِيَّةِ ٱلْأُولَىٰ ۖ وَأَقِمْنَ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتِينَ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَطِعْنَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ ۚ إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ ٱلرِّجْسَ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا ﴿٣٣﴾﴾، وهي التي ولد فيها إبراهيم عليه السلام، والأخرى القريبة من الإسلام، وهي التي ولد فيها محمد صلى الله عليه وسلم.(٧٠)

وقد نقل سالم عن ياقوت الحموي روايتين عن سكان المدينة، الأولى تفيد أن:"أول من زرع بالمدينة واتخذ بها النخل وعمر بها الدور والآطام واتخذ بها الضياع العماليق وهم بنو عملاق بن أرفخشذ بن سام بن نوح، عليه السلام... وكان ساكنو المدينة منهم بنو هف وسعد بن هفان وبنو مطرويل... وكان سبب نزول اليهود

بالمدينة وأعراضها أن موسى بن عمران، عليه السلام... بعث بعثًا آخر إلى الحجاز إلى العماليق وأمرهم أن لا يستبقوا أحدًا ممن بلغ الحلم إلا من دخل في دينه... فهذا كان أول سكنى اليهود الحجاز والمدينة".(٧١)

ويتضح لنا من خلال هذا النص أن أول من شيد الدور والآطام بالمدينة في الجاهلية هم العماليق، وهم بنو عملاق بن أرفخشذ بن سام بن نوح، عليه السلام قبل وفود اليهود عليها.

والرواية الأخرى أن بني قريظة يزعمون أن:"الروم ظهروا على الشام فقتلوا من بني إسرائيل خلقًا كثيرًا فخرج بنو قريظة والنضير وهدل هاربين من الشام يريدون الحجاز الذي فيه بنو إسرائيل ليسكنوا معهم... وذكر بعض علماء الحجاز من اليهود أن سبب نزولهم المدينة أن ملك الروم حين ظهر على بني إسرائيل وملك الشام خطب إلى بني هارون وفي دينهم أن لا يزوجوا النصارى فخافوه وأنعموا له وسألوه أن يشرفهم بإتيانه، فأتاهم ففتكوا به وبمن معه ثم هربوا حتى لحقوا بالحجاز وأقاموا بها، وقال آخرون: بل علماؤهم كانوا يجدون في التوراة صفة النبي، صلى الله عليه وسلم، وأنه يهاجر إلى بلد فيه نخل بين حرتين، فأقبلوا من الشام يطلبون الصفة حرصًا منهم على اتباعه، فلما رأوا تيماء (وقيل المدينة) وفيها النخل عرفوا صفته وقالوا: هو البلد الذي نريده ، فنزلوا...".(٧٢)

وتفصيل ما تقدم سواء فيما يتعلق بسكنى المدينة، أو الآطام أن ابن النجار أورد ما نصه:"قال أهل السير: كان أول من نزل المدينة بعد غرق قوم نوح - عليه

السلام، قوم يقال لهم صعل وفالج" (٧٣)، كما أورد ما نصه:"وكانت العماليق قد انتشروا في البلاد، فسكنوا مكة والمدينة والحجاز كله" (٧٤) ، كذلك أورد:"قال: وإنما كان سكن اليهود بلاد الحجاز أن موسى عليه السلام لما أظهره الله على فرعون وأهلكه وجنوده وطىء الشام وأهلك من بها وبعث بعثًا من اليهود إلى الحجاز وأمرهم ألا يستبقوا من العماليق أحدًا...".(٧٥)

وفي هذا الإطار أورد ابن النجار:"قالوا: وكان هذا أول سكنى اليهود الحجاز بعد العماليق. وهم يجدون في التوراة أن نبيًا يهاجر من العرب إلى بلد فيه نخل بين حرتين فأقبلوا من الشام يطلبون صفة البلد، فنزل طائفة تيماء... ومضى طائفة فلما رأوا خيبرًا ظنوا أنها البلدة التي يهاجر إليها... ومضى أكثرهم وأشرفهم. فلما رأوا يثرب سبخة وحرة ونخلاً قالوا: هذه البلد الذي يكون له مهاجر النبي إليها فنزلوه فنزل النضير بمن معه بطحان (٧٦). فنزلوا منها حيث شاءوا وكان جميعهم بزهرة وهي محل بين الحرة والسافلة مما يلي القف (٧٧) ، وكانت لهم الأموال بالسافلة. ونزل جمهورهم بمكان يقال له يثرب بمجتمع السيول: سيل بطحان والعقيق وسيل قناة مما يلي رغاية".(٧٨)

مما تقدم يتضح أن اليهود فروا إلى الجزيرة العربية، فاستوطن بعضهم أخصب بقاع الحجاز في يثرب، وفدك، وخيبر، ووادي القرى، وتيماء، كما نزل بعضهم اليمن، وكان يعيش في يثرب عند هجرة اليهود إليها جماعات يهودية قديمة، فمجتمع يثرب في سنة ٧٠م كان يتألف من اليهود القدامى الذين تغلبوا على عماليق يثرب، ومن اليهود الجدد الذين اتخذوا من بلاد العرب دار هجرة أمام اضطهاد الرومان لهم.(٧٩)

وقد أورد ابن النجار أيضًا:"قال: وخرجت قريظة وإخوانهم بنو هذل وهدل وعمرو أبناء الخزرج بن الصريح بن التوم... والنضر بن النجار... بعد هؤلاء فتبعوا آثارهم فنزلوا بالعلية على واديين يقال لهما مذينيب (مذينب)[٨٠] ومهروز (مهزور)[٨١]. فنزلت بنو النضير على مذينيب... ونزل قريظة وهذل على مهروز... وكانوا أول من احتفر بها الآبار واغترس الأموال وابتنوا الآطام والمنازل. قالوا: فجميع ما بنى اليهود بالمدينة تسعة وخمسون أطمًا. قال عبد العزيز بن عمران: وقد نزل بالمدينة قبل الأوس والخزرج[٨٢] أحياء من العرب منهم أهل التهمة تفرقوا جانب بلقيز إلى المدينة فنزلت بين مسجد الفتح إلى يثرب في الوطا وجعلت الجبل بينها وبين المدينة فأبرت الآبار والمزارع".[٨٣]

ويتضح من هذا النص أن ابن النجار أشار إلى أن أول من شيد الآطام والمنازل في المدينة في الجاهلية هم اليهود على الرغم من أنه ذكر في نص سابق "وكانت العماليق قد انتشروا في البلاد ، فسكنوا مكة والمدينة والحجاز كله"، وفي هذا الإطار أورد أيضًا في نص آخر سابق "قالوا: وكان هذا أول سكنى اليهود الحجاز بعد العماليق"، وهو الأمر الذي يدل بما لا يدع مجالاً للشك على أن العماليق قد سكنوا المدينة قبل اليهود سواء في نص ياقوت الحموي الذي تقدم ذكره، أو في نص ابن النجار هنا، مما يرجح رواية ياقوت الحموي أن أول من بنى الآطام بالمدينة هم العماليق وليس اليهود.

ومما تقدم أيضًا يتضح أن اليهود فروا إلى الجزيرة العربية، فاستوطن بعضهم أخصب بقاع الحجاز في يثرب، وفدك، وخيبر، ووادي القرى، وتيماء، كما نزل

بعضهم اليمن، وكان يعيش في يثرب عند هجرة اليهود إليها جماعات يهودية قديمة، فمجتمع يثرب في سنة ٧٠م كان يتألف من اليهود القدامى الذين تغلبوا على عماليق يثرب، ومن اليهود الجدد الذين اتخذوا من بلاد العرب دار هجرة أمام اضطهاد الرومان لهم.(٨٤)

- **نشأة الآطام وتطورها**:

يتضح مما تقدم أن المؤرخين والجغرافيين اختلفوا حول أول من بنى الآطام، فقد رأى ياقوت الحموي على سبيل المثال – كما تقدم - أن أول من بناها بالمدينة هم العماليق، ورأى ابن النجار على سبيل المثال أيضًا – كما تقدم أيضًا - أن أول من بناها بالمدينة هم اليهود، وذلك على الرغم من أنه ذكر في نصين أن العماليق قد سكنوا المدينة قبل اليهود، مما جعلنا نرجح رواية ياقوت الحموي أن العماليق هم أول من بنوا الآطام بالمدينة.

وقد ناقش مدني، ومن بعده الباشا، ومن بعدهما عثمان هذا الموضوع وانتهوا إلى أن العماليق هم أول من بنى الآطام بالمدينة، وفي هذا الإطار تطرق مدني إلى نص ابن رسته (المتوفى بعد سنة ٢٩٠هـ/٩٠٣م)، وغيره:"فكانت هذه القبائل من بني إسرائيل والأحياء الذين ذكروا معهم قد اتخذوا بالمدينة الآطام"، وأفاد بما نصه:"وهو نص وإن كان صريحًا باتخاذهم (اليهود) الآطام فهو يشرك معهم الأحياء العربية الأخرى ولا يدل على أنهم السابقون إليها. ألم تر إلى ابن رسته نفسه كيف يقول:"... وأقامت الأوس والخزرج واتخذوا الأموال والآطام..." (٨٥) ، وأرجح ما

انتهى إليه مدني، ثم عثمان في هذا الشأن من منظور ما تقدم من تعليق على نصوص ياقوت الحموي وابن النجار.

وقد كان إجمالي ما شيد من آطام يهودية بالمدينة كما تقدم "تسعة وخمسون أطمًا"، ويفرق النص هنا بين الآطام والمنازل، مما يدل على أن الآطام كانت تتخذ صفة الحصون المنيعة، وكانت كما تقدم على طراز معماري مربع، أو شبه مربع، أو مستدير وفي الحالات الثلاث من سقف مسطح خشبي، وفي هذا الإطار أيضًا أورد ابن النجار عند ذكره نزول أحياء من العرب على يهود الآطام العربية قبل نزول الأوس والخزرج، وذلك بما نصه:"قالوا: وكان بالمدينة قرى وأسواق من يهود بني إسرائيل، وكان قد نزلها عليهم أحياء من العرب فكانوا معهم وابتنوا الآطام والمنازل قبل نزول الأوس والخزرج. وهم بنو أنيف حي من بلي، ويقال إنهم من بقية العماليق، وبنو مريد حي من بلي وبنو معاوية بن الحارث بن بهثة بن سليم بن منصور بن عكرمة بن خصف بن قيس بن عيلان، وبنو الجذما حي من اليمن".(٨٦)

وفي هذا الإطار ذكر عثمان (٨٧) أن الإحصاءات التي وردت في المصادر تشير إلى أعداد كبيرة من الآطام، فقد بلغ عدد الآطام في المدينة "مائة وتسعة وتسعين أطمًا"، نسب المؤرخون منها "مائة وسبعة وعشرين للأنصار، وإلى من كان بالمدينة من العرب الذين كانوا نازلين بها أحد عشر، وإلى اليهود اللاجئين إليها "تسعة وخمسين" أطمًا.

والواقع أنه على الرغم من صحة العدد الكلي لهذه الآطام إلا أن الترتيب التاريخي من جهة، وتفصيل العدد الكلي من جهة أخرى غير صحيح، حيث إن الآطام

اليهودية يجب أن تأتي في المقدمة من منظور أنها الأقدم، ثم تأتي آطام القبائل العربية معاصرة للآطام اليهودية لأن هذه القبائل عاشت في المدينة مع اليهود، وفي هذا الصدد فإن هذه الآطام "ثلاثة عشر أطمًا" وليست "أحد عشر أطمًا"، وذلك حتى يستقيم العدد الكلي الصحيح، ثم تأتي بعد ذلك آطام الأوس والخزرج.

وكانت الآطام بالنسبة لأهل المدينة تمثل عزًا ظاهرًا من الناحية السكنية في الجزيرة العربية من جهة، كما كانت تمثل استحكامات حربية منيعة وقوية لهم أمام أعدائهم من جهة أخرى، مما جعلها من أهم سمات وخصائص المدينة، وهو الأمر الذي عبر عنه ابن النجار بجلاء في قوله:"قالوا: وكانت الآطام عز أهل المدينة ومنعتهم التي يتحصنون فيها من عدوهم، فكان منهم من يعرف اسمه، ومنها ما لا يعرف اسمه، ومنها ما يعرف باسم سيده، ومنها ما لا يدرى لمن كان، ومنها ما ذكر في الشعر، ومنها ما لم يذكر".(٨٨)

وفي هذا الإطار أورد السمهودي:"وكانت الآطام عز أهل المدينة... وروى حديث النهي عن هدم آطام المدينة. قال: وكان لبني أنيف بقباء: الأجش عند البئر التي يقال لها لاوة، وأطمان فيما بين المال الذي يقال له المائة والمال الذي يقال له القائم، وآطام عند بئر عذق وغيرها، قال شاعرهم فيها:

ولو نطقت يومًا قباء لخبرت بأنا نزلنا قبل عاد وتبع

وآطامنا عادية مشمخرة تلوح فتنكى من نعادي وتمنع (٨٩)

وكما أمدنا ابن النجار بعدد الآطام اليهودية، وهو (٥٩)، أمدنا بعدد الآطام العربية قبل نزول الأوس والخزرج [٩٠] ، وهو (١٣) [٩١] ، وذلك بما نصه:"وكان ما بني من الآطام للعرب بالمدينة ثلاثة عشر أطمًا" [٩٢] ، فقد كان يسكن يثرب قبل نزول اليهود الأوائل قبائل عربية تنسب إلى العماليق، وقد تغلب اليهود الوافدون على العرب، وغدت لهم السيادة عليهم، فلما تكاثر اليهود في المدينة عقب هجرتهم من أورشليم في سنة ٧٠م، أصبحت لهم الغلبة على يثرب وعلى القبائل العربية التي كانت تسكنها، فقد كان يسكن يثرب مع اليهود بطون عربية من اليمن، ومن بلي، ومن سليم بن منصور بن عكرمة من قيس عيلان، وبقايا من العماليق.[٩٣]

ويحدثنا ابن النجار عن المدينة وآطامها في مرحلة ما بعد هجرة الأوس والخزرج اليمنيين إلى المدينة بعد هدم سد مأرب بقوله:"قالوا: وكان ممن بقي بالمدينة من اليهود حين نزلت عليهم الأوس والخزرج بنو قريظة وبنو النضير وبنو محمحم وبنو زعورا وبنو قينقاع وبنو ثعلبة وأهل زهرة وأهل زبالة وأهل يثرب وبنو القصيص وبنو فاعصة وبنو ماسكة وبنو القمعة وبنو زيد اللات وهم رهط عبد الله وبنو عكوة وبنو مرانة. قالوا: فأقامت الأوس والخزرج بالمدينة ووجدوا الأموال والآطام والنخل في أيدي اليهود ووجدوا العدد والقوة معهم فسكنت الأوس والخزرج معهم ما شاء الله، ثم إنهم سألوهم أن يعقدوا بينهم وبينهم جوارًا وحلفًا يأمن به بعضهم من بعض ويمنعون به من سواهم فتعاقدوا وتحالفوا واشتركوا وتعاملوا فلم يزالوا على ذلك زمنًا طويلاً".[٩٤]

وفي ذلك أورد السمهودي:"وكان ممن بقي من اليهود – حين نزلت عليهم الأوس والخزرج – جماعات منها بنو القصيص وبنو ناغصة كانوا مع بني أنيف بقباء، وكان بقباء رجل من اليهود يقال "إنه من بني النضير"كان له أطم يقال له "عاصم"كان في دار ثوبة بن حسين بن السائب بن أبي لبابة ، وفيه البئر الذي يقال له قباء، وقيل: إن بني ناغصة حي من اليمن كانت منازلهم في شعب بني حرام حتى نقلهم عمر بن الخطاب إلى مسجد الفتح، ومنهم بنو قريظة في دارهم المعروفة بهم اليوم، وكان لهم بها آطام: من ذلك أطم الزبير بن باطا القرظي، كان موضعه في موضع مسجد بني قريظة، وأطم كعب بن أسد يقال له بلحان بالمال الذي يقال له الشجر... وكان مع قريظة في دارهم إخوتهم بنو هدل وبنو عمرو... وإنما سمي هدلاً بهدل كان في شفته، ومن ولده ثعلبة وأسد ابنا سعية وأسد بن عبيد ورفاعة بن سموال وسخيت ومنبه ابنا هدل، ومنها بنو النضير في النواعم، ومنهم كعب بن الأشرف، وكان لهم عامة أطم في المال الذي يقال له فاضحة، وأطم في زقاق الحارث... وأطم البويلة، وغير ذلك، هذا ما ذكره ابن زبالة".(٩٥)

وفي هذا الإطار ذكر سالم أنه يبدو أن يهود يثرب رحبوا بعقد هذا الحلف مع الأوس والخزرج لضمان سيادتهم على يثرب، ولكي يستخدموا حلفاءهم في رد أي غزو خارجي على يثرب، ثم أنهم كانوا يسعون إلى الإبقاء على صلات الجوار بينهم وبين قبائل العرب في المدن والقرى المجاورة ليثرب، ووجود أحلاف لهم في يثرب يمكن نفوذهم على المدينة من جهة، ويقوي تظاهرهم بالاندماج بين العرب من جهة ثانية، ويسبغ على سيادتهم على يثرب نوعًا من الشرعية، ولعلهم كانوا يفكرون

في الإفادة من خبرات هؤلاء الوافدين من عرب اليمن في المجالين الزراعي والتجاري، وقنع الأوس والخزرج بتحالفهم مع اليهود في هذه المرحلة، وكان اليهود يخشون أن يقوى العرب عليهم ذات يوم، فيتمكنوا من انتزاع السيادة على يثرب من أيديهم، لذا أكثروا من اتخاذ الآطام والحصون.(٩٦)

وفي مرحلة تالية أمدنا ابن النجار بثراء الأوس والخزرج، حيث ذكر ما نصه:"وأثرت الأوس والخزرج وصار لهم مال وعدد، فلما رأت قريظة والنضير حالهم خافوهم أن يغلبوهم على دورهم وأموالهم فتنمروا لهم حتى قطعوا الحلف الذي كان بينهم قريظة والنضير أعدوا وأكثروا. فأقامت الأوس والخزرج في منازلهم وهم خائفون أن تحتلهم يهود حتى نجم منهم مالك بن العجلان أخو بني سالم بن عوف بن الخزرج".(٩٧)

وتفصيل ذلك كما يذكر ابن النجار:"قالوا: ولما نجم مالك... فبعث هو قومه إلى من وقع بالشام من قومهم يخبرونهم حالهم ويشكون إليهم غلبة اليهود عليهم، وكان رسولهم الدمق بن زيد... فمضى حتى قدم الشام على ملك من ملوك غسان الذين ساروا من يثرب إلى الشام يقال له أبو جبيلة... وقيل: كان أحد بني جشم بن الخزرج، وكان قد أصاب ملكًا بالشام وشرفًا فشكى إليه الدمق حالهم وغلبة اليهود عليهم... فأقبل أبو جبيلة في جمع كبير لنصرة الأوس والخزرج... فسار وأظهر أنه يريد اليمن حتى قدم المدينة وهي يومئذ يثرب فلقيه الأوس والخزرج وأعلمهم ما جاء به. فقالوا: إن علم القوم ما تريد تحصنوا في آطامهم فلم نقدر عليهم، ولكن تدعوهم للقائك وتتلطف بهم حتى يأمنوك ويطمئنوا فتتمكن منهم ، فصنع لهم طعامًا

وأرسل إلى وجوههم ورؤسائهم... وقد كان بنى لهم حيزًا وجعل فيه قومًا وأمرهم من دخل عليهم منهم أن يقتلوه حتى أتى على وجوههم ورؤسائهم، فلما فعل ذلك عزت الأوس والخزرج في المدينة واتخذوا الديار والأموال وانصرف أبو جبيلة راجعًا إلى الشام".(٩٨)

مما تقدم يتضح أن الآطام سواء بالنسبة لليهود، أو العرب كانت حصونًا منيعة عالية لا يمكن اختراقها سواء في مادة البناء، أو طبيعة العمارة، وهو الأمر الذي نلحظه جليًا في قول ابن النجار:"إن علم القوم ما تريد تحصنوا في آطامهم فلم نقدر عليهم".

وبعد أن عاد أبو جبيلة إلى الشام شهدت المدينة انتشار الأوس والخزرج في عاليتها وسافلتها، وبعضهم جاء إلى عفا من الأرض لا ساكن فيه فنزله، ومنهم من لجأ إلى قرية من قراها، واتخذوا الأموال والآطام، فكان ما ابتنوا كما يذكر ابن النجار:"من الآطام مائة وسبعة وعشرين أطمًا، وأقاموا كلمتهم وأمرهم مجتمع. ثم دخلت بينهم حروب عظام وكانت لهم أيام ومواطن وأشعار فلم تزل الحروب بينهم إلى أن بعث الله نبيه صلى الله عليه وسلم وأكرمهم باتباعه".(٩٩)

مما تقدم يتضح أن إجمالي ما شيد من آطام بالمدينة من قبل الأوس والخزرج هو (١٢٧)، وهو العدد الذي فاق ما شيد منها سواء من قبل اليهود (٥٩)، أو العرب (١٣) قبل آطام الأوس والخزرج، ومن ثم يكون عدد آطام

المدينة حتى هجرة النبي صلى الله عليه وسلم (١٩٩)، منها (٥٩) لليهود، و (١٤٠) للعرب.

وتفصيل ذلك فيما يتعلق بآطام منازل قبائل الأنصار أورد السمهودي:"... وابتنى بنو عبد الأشهل أطمًا يقال له "واقم" وبه سميت الناحية واقمًا... وأطمًا يقال له "الرعل" بالمال الذي يقال له واسط لصخرة أم بني عبد الأشهل... وآطامًا غير ذلك، وابتنى بنو حارثة أطمًا اسمه "المسير" صار لبني عبد الأشهل بعد خروج بني حارثة من دارهم... قال ابن زبالة: وابتنوا بها – أي بدارهم الثانية – أطمًا يقال له "الريان" عند مسجد بني حارثة كان لبني مجذعة بن حارثة... ونزل بنو عمرو بن عوف بم مالك بن الأوس قباء، فابتنوا أطمًا يقال له "الشنيف" عند دار أبي سفيان بن الحارث... وأطمًا في دار عبد الله بن أبي أحمد، كان لكلثوم بن الهدم... وأطمًا يقال له واقم كان بقباء لأحيحة بن الجلاح... ثم صار لبني عبد المنذر بن رفاعة... وكان في رحبة بني زيد بن مالك بن عوف أربعة عشر أطمًا يقال لها الصياصي، وكان لهم أطم بالمسكبة شرقي مسجد قباء، وأطم يقال له "المستظل" كان موضعه عند بئر غرس...".(١٠٠)

وأورد السمهودي أيضًا:"وابتنى أحيحة بن الجلاح بالعصبة أطمًا يقال له "الضحيان" وهو الأطم الأسود الذي بالعصبة، وكان عرضه قريبًا من طوله، بناه أولاً من بئرة بيضاء فسقط، يعني من حجارة الحرار البيض. وكان يرى من المكان البعيد ، وفيه يقول أحيحة:

وقد أعددت للحدثان حصنًا لو أن المرء تنفعه العقول

طويل الرأس أبيض مشمخر يلوح كأنه سيف صقيل

وابتنوا هم وبنو مجدعة أطمًا يقال له "الهجيم" عند المسجد الذي صلى فيه النبي صلى الله عليه وسلم... وخرجت بنو السميعة – وهم بنو لوذان بن عمرو بن عوف – فسكنوا عند زقاق ركيح، وابتنوا أطمًا يقال له "السعدان"... وابتنى بنو واقف أطمًا يقال له "الزيدان"... وأطمًا كان موضعه عند بئر عائشة الواقفي، وغير ذلك... وكان لبني السلم حصن شرقي مسجد قباء... قلت: وفي قبلة مسجد الفضيخ عند الحديقة المعروفة بالأشرفية والسابور آثار آطام وقرية وحصن عظيم، فهي منازل بني واقف. ونزل بنو وائل بن زيد في دارهم المعروفة بهم، وابتنوا أطمًا يقال له "الموجا" كان موضعه في مسجد بني وائل".(١٠١)

وتكمن أهمية هذا النص في ذكر تخطيط أطم الضحيان "وكان عرضه قريبًا من طوله" من جهة، ومادة بنائه "من حجارة الحرار البيض" من جهة أخرى، فضلاً عن تميزه من حيث الارتفاع وطبيعة البناء كحصن صريح كما ورد في الشعر المذكور.

- **البقايا المعمارية لأطم الضحيان**:

وصف لنا مدني بقايا أطم الضحيان المعمارية بقوله: "يوجه الأنظار إلى نفسه فهو أبرز آثارًا مما بقي من أطلال الآطام الأخرى وأغناها دلالة وحسبك أن عمره الآن يزيد على ١٥٣٠ عامًا تقريبًا ولم يزل مستأثرًا بالبرهان على ماضي عظمته" (١٠٢) ، وهو الوصف الذي يتطابق مع ما ورد في النص "وكان يرى من المكان البعيد"، "وفيه يقول أحيحة:

وقد أعددت للحدثان حصنًا لو أن المرء تنفعه العقول

طويل الرأس أبيض مشمخر يلوح كأنه سيف صقيل"

ويمكن عرض وصفه المعماري، الذي أدركه مدني على النحو الآتي:

الموقع:

يقع هذا الأطم في الغرب الجنوبي من مسجد قباء على نشز الحرة، وقد تقدم في النص "وهو الأطم الأسود الذي بالعصبة".

- **مادة البناء:**

شيد هذا الأطم بحجارة الحرة، وقد تقدم في النص "بناه أولاً من بئرة بيضاء فسقط، يعني من حجارة الحرار البيض".

- **الوصف المعماري:**

جاء في النص بشأن تخطيطه المعماري "وكان عرضه قريبًا من طوله"، وجاء في وصف مدني لبقاياه المعمارية أن ارتفاع الجزء الباقي من جداره يبلغ نحو ١٤م، ويبلغ عرضه من الجهة الغربية نحو ١٠م، ويبدو أن المدخل الرئيسي له كان من الناحية الشرقية لأن الحرة تنقطع عندها لتستقبل أرضًا زراعية، وهناك نقب صغير، ولا يدري مدني أهو محاولة متأخرة لإكتشاف ما في داخله، أم إنه كان ممرًا للباب، وفي الآثار الباقية من هذا الأطم ما يسمح قليلاً لاحتمال أن يكون له ولرحبته معًا مدخل آخر من الجهة الجنوبية، لأنها أقرب من الجهتين الشمالية والغربية للأرض السهلة، وتنتشر حول هذه الآثار حجارة يبدو أنها من الأطم، ويمكن أن تنبهنا وضعية الأرض المحيطة بها الآن إلى أنها كانت ذات بناء، وعلى بعد ما يقرب من

٤٠م من الجهة الغربية الجنوبية بئر قديمة مهجورة، يقال أنها بئر الأطم، والمظنون أنها كانت داخلة في دائرته.(١٠٣)

هذا وقد أورد السمهودي أيضًا:"ونزل بنو أمية بن زيد... في دارهم المعروفة بهم التي بها الكبا... قال ابن زبالة: وابتنوا أطمًا يقال له "أطم العذق"... وأطمًا كان في دار آل رويفع التي في شرقي مسجد بني أمية... ونزل بنو عطية بن زيد... بصفنة... وابتنوا فيها أطمًا اسمه "شاس" كان لشاس بن قيس أخي بني عطية بن زيد... ونزل بنو خطمة... دارهم المعروفة بهم، وابتنوا بها الآطام، وغرسوا النخيل، فابتنوا بها أطمًا يقال له "صع ذرع" ليس فيه بيوت، جعلوه كالحصن الذي يتحصنون فيه للقتال، وكان لخطمة كلها، وكان موضعه عند مهراس بني خطمة، وإنما سمي "صع ذرع" لأنه كان عند بئر بني خطمة التي يقال لها ذرع، وابتنى أمية بن عامر بن خطمة أطمًا كان موضعه في مال الماجشون الذي يلي صدقة أبان بن أبي حدير".(١٠٤)

وتكمن أهمية ذكر هذا النص في ذكر صفة "أطم صع ذرع"، الذي خلا من البيوت، بحيث شيد على هيئة الحصن للتحصن فيه للقتال فقط، وهو الأطم الذي ذكره مدني "ضع ذرع"، وقال:"وأحسب أن الذي دعاهم إلى هذا التعريف أن المألوف في الآطام أنها تحتوي على بيوت معدة للسكنى لا سيما إذا كانت خاصة بالأشخاص كما تضافرت عليه روايات القدامى من المؤرخين كأطم الضحيان وأطم الزاهرية مثلاً"، والواقع أن هذا النص يدل دلالة واضحة على أن الآطام شيدت

على هيئتين، إحداهما تجمع ما بين العمارة السكنية والحربية وهي الغالبة، والأخرى اقتصرت فقط على العمارة الحربية، فضلاً عن تفسير النص لاسم هذا الأطم.

وأورد السمهودي أيضًا:"وكان بنو خطمة متفرقين في آطامهم... وقد انتهى الكلام في منازل الأوس وهذه منازل الخزرج. قال ابن زبالة: ونزل بنو الحارث بن الخزرج... دارهم المعروفة بهم بالعوالي... وابتنوا أطمًا كان لبني امرىء القيس بن مالك... قال ابن زبالة: وابتنوا أطمًا يقال له "السنح" – بضم أوله وسكون ثانيه وآخره حا مهملة إحدى محال المدينة - وبه سميت الناحية ، ويقال بل اسمه "الريان"... وخرجت بنو خدرة بن عوف... وابتنوا أطمًا يقال له "الأجرد" وهو الأطم الذي يقال لبئره البصة... ونزل سالم وغنم ابنا عوف بن عمرو بن عوف بن الخزرج الأكبر الدار التي يقال لها "دار بني سالم" على طرف الحرة الغربية غربي الوادي الذي به مسجد الجمعة ببطن رانونا ، وابتنوا آطامًا: منها "المزدلف" أطم عتبان بن مالك، قاله المطري، وقال: المزدلف هو الأطم الذي بناه عتبان بن مالك، كان لمالك بن العجلان السالمي، وله يقول مالك

إني بنيت للحروب المزدلف

ومنها "الشماخ" كان خارجًا عن بيوت بني سالم من جهة القبلة، ومنها أطم "القواقل"".(١٠٥)

ويؤكد هذا النص في أطم "المزدلف" على نوع الآطام الذي شيد من أجل الحروب فقط وليس للسكنى على غرار أطم "صع ذرع" المتقدم ذكره.

وذكر السمهودي أيضًا:"آطام بني الحبلي... وابتنوا آطامًا منها "مزاحم" بين ظهران بيوت بني الحبلي، وهو لعبد الله بن أبي سلول. ومنها أطم كان بين مال عمارة بن نعيم البياضي وبين مال ابن زمانة. ومنها أطم كان في جوف بيوتهم... ونزل بنو سلمة... أطم بني حرام... ونزل بنو سواد بن غنم... وابتنوا أطمًا يقال له "الأغلب"... وأطمًا يقال له "خيط" في شرقي مسجد القبلتين... وأطمًا يقال له "منيع" في يماني مسجد القبلتين... ونزل بنو عبيد... وابتنوا "الأشنق"... وابتنوا "الأطول"... ونزل بنو حرام بن كعب... عند مسجد بني حرام... وكانوا بين مقبرة بني سلمة إلى المذاد ، والمذاد... أطم لهم سميت به الناحية ، وابتنوا أطمًا يقال له "جاعس"... كان لعمرو بن الجموح... وابتنى بنو مر بن كعب... أطمًا يقال له "أخنس" وهو الأسود القائم في بني سلمة... ونزل بنو بياضة وزريق ابنا عامر... وابتنوا بدارهم الآطام، وروى ابن زبالة أنه كان بدارهم تسعة عشر أطمًا، وأن الذي أحصاه لبني أمية بن عامر بن بياضة خاصة ثلاثة عشر أطمًا: منها أطم أسود... ومنها "عقرب"... ومنها "سويد"... ومنها "اللواء"... ومنها أطم كان في السرارة ، والسرارة: ما بين أرض ابن أبي قليع... وما بين الأطم الذي يقال له اللواء... ثم ذكر ابن زبالة بقية آطامهم... ثم قال: وابتنى بنو حبيب... الأطم الذي في أدنى بيوت بني بياضة... وابتنوا آطامًا منها أطم في زاوية دار كبير بن الصلت بالمصلى، وأطمًا يقال له "الريان"... وأقام بنو عمرو... مع بني بياضة، ولهم الأطم الذي في شامي أرض فراس... وانتقل بنو مالك بن زيد... وابتنوا أطمًا كان لبني المعلى بن لوذان".(١٠٦)

وأورد السمهودي أيضًا:"ونزل بنو ساعدة بن كعب بن الخزرج... في أربع منازل: فنزل بنو عمرو وبنو ثعلبة... قال ابن زبالة: فابتنوا أطمًا يقال له "معرض" في الدار المواجهة مسجد بني ساعدة، وهو آخر أطم بني بالمدينة، وقدم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة وهم يبنونه، فاستأذنوه في إتمامه، فأذن لهم فيه، وله يقول شاعرهم:

ونحن حمينا عن بضاعة كلها ونحن بنينا معرضا فهو مشرف

فأصبح معمورًا طويلاً فدى له وتخرب آطام بها وتصفصف

وأطمًا في دار أبي دجانة... ونزلت بنو قشبة... وابتنوا أطمًا عند خوخة عمرو بن أمية الضمري... ونزلت بنو أبي خزيمة... قال ابن زبالة: فابتنوا أطمًا يقال له واسط... ونزل بنو مالك بن النجار دارهم المعروفة بهم، فابتنى بنو غنم بن مالك أطمًا يقال له "فويرع"... وابتنى بنو مغالة... أطمًا يقال له "فارع"... وابتنى بنو حديلة (بضم الحاء المهملة)... أطمًا يقال له "مشعط" كان في غربي مسجدهم... وابتنى بنو مبذول... أطمًا يقال له "السلج" وأطمًا كان في دار آل حيي بن أخطب... وأطمًا كان في دار سرجس مولى الزبير... ونزل بنو عدي بن النجار دارهم... وكان بها الأطم الذي في قبلة مسجدهم، وابتنوا أطمًا يقال له "أطم الزاهرية" امرأة سكنته... قال المطري: وابتنوا بها أطمين أحدهما يقال له "واسط"... ونزل بنو دينار بن النجار... وابتنوا أطمًا يقال له "المنيف" عند مسجدهم الذي

يقال له مسجد بني دينار... وكان راتج أطمًا سميت به تلك الناحية، ثم صار لبني الجذماء".(١٠٧)

وتكمن أهمية هذا النص في الإشارة إلى آخر أطم شيد في المدينة قبل الإسلام، وهو أطم "معرض" في الدار المواجهة مسجد بني ساعدة، حيث قدم النبي صلى الله عليه وسلم في أثناء تشييده، وأذن لهم في الفراغ منه بعد أن استأذنوه، مما يدل على موافقته ومباركته صلى الله عليه وسلم لبناء الآطام.

مما تقدم يتضح أن أسماء الآطام، أو الأطوم التي تناولتها الدراسة قد تنوعت سواء داخل، أو خارج المدينة بالجزيرة العربية، فقد ذكر مدني أنها تنوعت ما بين أسماء فضفاضة تشعر بالقوة والتفاؤل، وما بين الجهات التي تقع فيها، وقد يكون الاسم الواحد علمًا على أطمين، وكانت رئاسة هذه الآطام لزعماء القبائل، ورؤساء البطون (١٠٨) ، والأشخاص، وقد ذكرت في بعضها بدون أسماء.

وفي هذا الإطار بحث عثمان (١٠٩) في هذه الأسماء، وجذر كل اسم، حيث ذكر أن دلالات أسماء الآطام تعكس بعض ملامحها المعمارية، ومن أهم هذه الدلالات تلك الدلالة التي تشير إلى الارتفاع والعلو مبنى ومعنى، فمن الأسماء التي تعكس هذه الدلالة بصورة مباشرة المنيف، والفارع، وهناك أسماء تدل على الارتفاع والعلو بصيغة أخرى تتضمن العزة والمنعة كشماخ، وتتضمن هذه الدلالات ما يتصل بالجبل وثباته وشموخه، وهي دلالات تتوافق وارتفاع بناء الآطام ومبانيها وضخامتها.

ويؤكد هذا التفسير أسماء أخرى لبعض الآطام مثل القواقل، ومن هذه الأسماء ما يتضمن دلالات البروز كالزيدان، ومن هذه الأسماء ما يعكس روح الاستنكار، والكره، والكيد، والقدرة على رد الأعداء مثل: الشنيف، وواقم، والمسير، والمعرض، والمذاد، الذي يتضمن معناه دفعه للعدو وطرده، وتعكس بعض أسماء الآطام الأخرى دلالات أخرى تتصل بالقوة والغلظة في أطر مختلفة، منها ما يرتبط بالحيوانات الوحشية كالأخنس (الأسد)، والمزاحم، وامتدت الأسماء في هذا الاتجاه لتشمل الحشرات السامة مثل العقرب، والأجرد (فرس قصير الشعر)، والريان، ومن أسماء الآطام ما يرتبط بالبشر المتحصنين في هذا الأطم أو ذاك من حيث كثرتهم كالأغلب، وجاعس، ومنها ما يتصل مباشرة بأساليب الحرب وأسلحتها مثل الهجيم، وموجا، وأسود، ومن هذه الأسماء أيضًا واسط، وواسط لها معان عدة منها واسط الكبير مقدمه، أي الموضع الذي تخرج منه النار.(١١٠)

ومن الأسماء المرتبطة بأحكام الغلق التي تعد أهم الملامح المعمارية للآطام الأشنف، ومن الأسماء ما يرتبط بأنواع معينة من النباتات في البيئة الرعوية مثل السعدان، والسلج، ومنها ما يرتبط بكثرة الماء مثل الغدق، ومنها ما يرتبط بأجواء الحروب وتوابعها، ومنها ما يتصل بالبيئة المحيطة بها، أو المواد التي بنيت منها، ومنها ما يرتبط بمواضعها في مناطق العمران مثل أسود، والسويد، والمدر، وخيط، والسنح.(١١١)

- **المحور الثالث**:

- **تاريخ وعمارة الآطام في الإسلام**:

أورد ابن النجار في ذكر فتح المدينة ما نصه:"قالت عائشة رضي الله عنها: كل البلاد افتتحت بالسيف وافتتحت المدينة بالقرآن".(١١٢)

وقد أورد البخاري في صحيحه في كتاب فضائل المدينة، في باب المدينة طابة:"حدثنا خالد بن مخلد حدثنا سليمان قال حدثني عمرو بن يحيى عن عباس بن سهل بن سعد عن أبي حميد رضي الله عنه أقبلنا مع النبي صلى الله عليه وسلم من تبوك حتى أشرفنا على المدينة فقال: "هذه طابة".(١١٣)

كما أورد البخاري أيضًا في كتاب فضائل المدينة، في باب آطام المدينة:"حدثنا علي بن عبد الله حدثنا سفيان حدثنا ابن شهاب قال: أخبرني عروة سمعت أسامة رضي الله عنه قال: أشرف النبي على أطم من آطام المدينة فقال: "هل ترون ما أرى ؟ إني لأرى مواقع الفتن خلال بيوتكم كمواقع القطر". تابعه معمر وسليمان بن كثير عن الزهري".(١١٤)

ويرد ذكر أحد الآطام العالية اليهودية بالمدينة في رواية ابن النجار عن وصول الرسول صلى الله عليه وسلم المدينة، وذلك بما نصه:"ولقي رسول الله صلى الله عليه وسلم الزبير في ركب من المسلمين كانوا تجارًا قافلين من الشام فكسا الزبير رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبا بكر ثياب بياض وسمع المسلمون بالمدينة بخروج رسول الله صلى الله عليه وسلم من مكة فكانوا يغدون كل غداة إلى الحرة

ينتظرونه حتى يردهم حر الظهيرة فانقلبوا يومًا بعد أن طال انتظارهم فلما أووا إلى بيوتهم رقي رجل من يهود أطمًا من آطامهم لأمر ينظر إليه فبصر برسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه مبيضين – أي عليهم الثياب البيض - فلم يملك اليهودي أن قال بأعلى صوته: يا معشر العرب هذا جدكم الذي تنتظرونه، فثار المسلمون إلى السلاح فتلقوا رسول الله صلى الله عليه وسلم بظهر الحرة فعدل بهم ذات اليمين حتى نزل بهم في بني عمرو بن عوف وذلك يوم الاثنين من شهر ربيع الأول".(١١٥)

وقد أورد السمهودي – كما تقدم - ذكر قدوم النبي صلى الله عليه وسلم المدينة في أثناء تشييد آخر أطم بها، وهو أطم "معرض"، وذلك بما نصه: "ونزل بنو ساعدة بن كعب بن الخزرج... في أربع منازل: فنزل بنو عمرو وبنو ثعلبة... قال ابن زبالة: فابتنوا أطمًا يقال له "معرض" في الدار المواجهة مسجد بني ساعدة، وهو آخر أطم بني بالمدينة، وقدم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة وهم يبنونه، فاستأذنوه في إتمامه، فأذن لهم فيه ، وله يقول شاعرهم:

ونحن حمينا عن بضاعة كلها ونحن بنينا معرضا فهو مشرف

فأصبح معمورًا طويلاً فدى له وتخرب آطام بها وتصفصف"

ويشير استئذان بني ساعدة من الرسول صلى الله عليه وسلم في إتمام بناء هذا الأطم إلى أن الرسول صلى الله عليه وسلم كان قد نهى عن بناء آطام جديدة بالمدينة، وفي الوقت نفسه نهى عن هدمها.(١١٦)

- **التخطيط المربع للكعبة والآطام والمآذن والقصور**:

أذن بلال (أول مؤذن في الإسلام) رضي الله عنه من على أطم، قال ابن منظور كما تقدم: "... وفي حديث بلال: أنه كان يؤذن على أطم، الأطم، بالضم: بناء مرتفع..."، وفي هذا الإطار يتفق الأطم مع المئذنة، أو المنارة، أو الصومعة، أو المنار في التكوين المعماري المرتفع، فإنه من المعروف أنه كلما كان الأذان معلنًا من مكان مرتفع، كلما صار مسموعًا لمسافة أبعد، ولعدد أكبر.

وفي هذا الصدد جاء في السيرة النبوية لابن هشام عند ذكر ما كان يدعو به بلال قبل الفجر ما نصه: "قال ابن إسحاق: وحدثني محمد بن جعفر بن الزبير، عن عروة بن الزبير، عن امرأة من بني النجار، قالت: كان بيتي من أطول بيت حول المسجد، فكان بلال يؤذن عليه للفجر كل غداة، فيأتي بسحر، فيجلس على البيت ينتظر الفجر، فإذا رآه تمطى، ثم قال: اللهم إني أحمدك وأستعينك على قريش أن يقيموا على دينك، قالت: والله ما علمته كان يتركها ليلة واحدة".(١١٧)

وتكمن أهمية الربط بين الآطام والمآذن أو المنارات من منظور آخر في التكوين المعماري المربع، فقد أمدنا المؤرخ يحيى بن الحسين المتوفى سنة ١٠٨٠هـ/١٦٦٩م بنص فى غاية الأهمية يتعلق بعمارة الخليفة عثمان بن عفان رضي الله عنه (٢٣-٣٥هـ/٦٤٤-٦٥٦م) فى المسجد النبوي بشكل عام، وبناء المنارات للأذان بشكل خاص سنة ٢٩هـ/٦٤٩م، حيث قال: " زاد عثمان في مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم الزيادة العظيمة وجعل طوله مائة وستين ذراعا وعرضه مائة وخمسين ذراعا، وحملت له الحجارة من بطن نخل، ووضع في عمده الرصاص،

وجعل أبوابه ستة على ما كانت عليه فى عهد عمر، ومن مآثر عثمان بناء المنارات للأذان، وكانت فى زمنه مربعة الشكل...". (١١٨)

وتكمن أهمية هذا النص في أنه يشير إلى بناء المنارات صراحة من جهة، وتكوينها المعماري المربع من جهة أخرى، والواقع أن المستشرقين فيما عدا سوفاجيه (SAUVAGET) وتبعهم فى ذلك العرب المحدثون فى منهج البحث عن أصل المئذنة وحلقات تطوراتها الأولى ساروا على نفس الأسلوب الذى سارت عليه بقية دراسات الوحدات والعناصر المعمارية الإسلامية خلال عصرها المبكر، وهو الأسلوب الذى يهدف إلى نسبة مصدرها إلى مصادر غير عربية وإسلامية، وذلك عن طريق محاولات التأصيل والدراسات المقارنة للوحدات والعناصر المعمارية فى العمائر السابقة على الإسلام، خاصة فى العمائر الساسانية، والهندية، والرومانية، والبيزنطية، وأذكر من بين آراء المستشرقين رأى العالم CRESWELL من خلال دراسة تناول فيها تطور المئذنة، حيث انتهى فيها إلى أن فكرة المئذنة نشأت فى سوريا خلال العصر الأموي، وأن المئذنة الأولى اشتقت معماريًا من برج الكنيسة السورية. (119)

وهذه النظرية نشرها مارسيه (MARCAIS) فى عام ١٣٢٤هـ/١٩٠٦م، وقبلها شويزى (SHOISY)، ثم تيرش (THIERSCH) فيما يتعلق بمآذن شمال إفريقية والأندلس على الرغم من أن هذه المنطقة كانت تشتمل على مثلين على غير

هذا النمط المربع، أحدهما فى الجامع الكبير بأجدابية فى برقة الإقليم، والآخر فى جامع طرابلس الغرب ٣٠٠هـ/ ٩١٢م.(120)

وأرى أن كريزويل ومن تبعه من المستشرقين والعرب المحدثين لم يتجهوا الوجهة الصحيحة فى دراسة أصل وتطور المئذنة، حيث كان ينبغى عليهم أن يتجهوا ببصرهم مباشرة إلى الجزيرة العربية سواء في المدينة قبل الإسلام ، أو في المسجد النبوى بالمدينة بعد الإسلام، الذى يعد أصل عمارة المسجد إلى حد كبير فى العالم الإسلامى وليس إلى سوريا والجامع الأموى بدمشق، وهو الأمر الذى تأكد لنا تماماً عند ذكر الآطام المربعة بالمدينة من جهة، والمسجد النبوى فى خلافة عثمان بن عفان رضى الله عنه وتشييد المآذن المربعة من واقع النصوص التاريخية من جهة أخرى، فقد كان التكوين المعماري المربع معروفًا في الجزيرة العربية قبل الإسلام كما تقدم في الآطام المربعة، وإضافة للآطام المربعة فإن الكعبة الأولى كانت ذات تكوين معماري مربع، ومن المرجح أن التكوين المعماري المربع للمئذنة إنما جاء على تربيعها ، فقد ذكر المؤرخ ابن عبد الحكم عند ذكره دار عبد الله بن عمرو بن العاص ما نصه " وبنى فيها قصرًا على تربيع الكعبة الأولى".(121)

ويرد ذكر الآطام بالمدينة عند ذكر حفر النبي صلى الله عليه وسلم الخندق(١٢٢) حول المدينة، وذلك بما نصه: "وخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم في ثلاثة آلاف حتى جعلوا ظهورهم إلى سلع (١٢٣)، وضرب عسكره والخندق بينه وبين القوم وأمر بالذراري والنساء فجعلوا في الآطام".(١٢٤)

ولم يشيد النبي صلى الله عليه وسلم أطمًا، أو حصنًا في المدينة، كما لم يشيد الخلفاء الراشدون آطامًا، أو حصونًا بالمدينة، أو غيرها من مدن، وقرى، ومواضع الجزيرة العربية.(١٢٥)

- **هدم واندثار الآطام**:

استمرت الآطام قرونًا طويلة تؤدي كل المتطلبات التي شيدت من أجلها، ولكن تراجع دورها الحربي بعد غزوتي الخندق، وبني قريظة، وكان أن أخربت في عهد الخليفة عثمان بن عفان رضي الله عنه.(١٢٦)

ويرى عثمان أن هذا الرأي يحتاج إلى مراجعة، من منطلق أن هذه الآطام مع مرور الزمن وعدم قيامها بوظائفها الأساسية، كان من الطبيعي أن تتعرض لعامل الهدم والتدمير، بالإضافة إلى استبدال هذه الآطام بمنشآت أخرى في أفنيتها كالدور، والمساجد، وغير ذلك، وأصبحت مع ازدياد عمران المدينة بازدياد أعداد المهاجرين إليها، والمجاورين، والحجاج، والمعتمرين، حدثًا متكررًا تؤكده روايات المؤرخين طوال العصور الإسلامية حتى العصر الحديث، حيث كانت بعض أطلالها قائمة كما تقدم.(١٢٧)

الخاتمة:

بعد دراسة آطام، أو أطوم المدينة المنورة بالجزيرة العربية في الجاهلية والإسلام من المنظورين الآثاري والحضاري نخلص إلى مجموعة من النتائج يمكن عرضها على النحو الآتي:

- تعرضت الدراسة إلى المدينة من جهة، والآطام التي تميزت بها من جهة أخرى، والمصطلحات المعمارية التي ارتبطت بالآطام مثل البيوت، والقصور، والحصون، والصياصي من جهة ثالثة في الجاهلية والإسلام لغة واصطلاحًا، ومن ثم أمكن تحديد سماتها وخصائصها على النحو الآتي:

١- المادة البنائية من الحجر الأسود البازلتي وهو الغالب، أو الأبيض، واستخدم لازب الطين والأصرة كمونة لا صقة، في الغالب.

٢- جاءت من حيث التكوين المعماري تنقسم إلى ثلاثة أنماط يمكن عرضها على النحو الآتي:

أ- عبارة عن بيوت، أو قصور مرتفعة على هيئة الحصون بملحقاتها، لذا فهي تصنف في العمارة السكنية، وهذا النمط هو الغالب.

ب- عبارة عن حصون عالية منيعة خالية من البيوت، أو القصور، أي يشيدونها ويتحصنون فيها للقتال فقط، لذا فهي تصنف في العمارة الحربية.

ت- عبارة عن حصون عالية منيعة تضم في داخلها البيوت، أو القصور، لذا فإن هذا النمط يجمع في آن واحد بين العمارتين السكنية والحربية.

٣- جاءت من حيث التخطيط المعماري على ثلاثة طرز يمكن عرضها على النحو الآتي:

أ- الطراز المعماري المربع، وهو الطراز الغالب سواء في المدينة، أو خارجها.

ب- الطراز المعماري شبه المربع، أو المستطيل.

ت- الطراز المعماري المستدير.

٤- كانت في معظمها من الناحية المعمارية تتألف من طبقات، ولها آبار ورحاب داخلة فيها تعد من مكوناتها المعمارية.

٥- تميزها في بعضها بالسعة والضخامة.

٦- شيدت للقبيلة عامة، أو لبعض البطون، أو لبعض الأشخاص الذين باعدت بينهم الفوارق المالية والاجتماعية، والذين كان لبعضهم أطم، أو أكثر.

٧- لم تقتصر عمارتها بالمدينة على ما تمس إليه الضرورة، بل تعدتها إلى المباهاة في التظاهر والبروز بين رجالات المدينة في الجاهلية، مما يستلزم التأنق المعماري من جهة، والزخرفة من جهة أخرى.

٨- عرفت في بعضها بأسماء بعض النساء.

٩- كانت من الظواهر المميزة للمدينة سواء في الجاهلية، أو في الإسلام، فقد كانت تبعث في نفوس قاطنيها طمأنينة لم تعهد في غيرها من مدن الجزيرة العربية.

١٠- عرفت في الإسلام بعض الوظائف الأخرى مثل إعلان الأذان وإعلام المسلمين بدخول وقت الصلاة شأنها في ذلك شأن المنارات، أو المآذن، أو الصوامع، أو المنار.

- تناولت الدراسة نشأة وتطور الآطام بالمدينة في الجاهلية والإسلام من خلال سكنى المدينة سواء من قبل العماليق، أو اليهود والعرب، وسواء قبل نزول الأوس والخزرج، أو بعده، وفي هذا الإطار أكدت الدراسة على ما انتهى إليه مدني، ومن بعده عثمان من أن العماليق وليس اليهود هم أول من بنوا الآطام بالمدينة.

- تضمنت الدراسة وصف البقايا المعمارية لأطم الضحيان في ضوء النصوص التاريخية من جهة، ووصف مدني من جهة أخرى.

- تطرقت الدراسة إلى آخر أطم شيد في المدينة قبل الإسلام، وهو أطم "معرض" في الدار المواجهة مسجد بني ساعدة، حيث قدم النبي صلى الله عليه وسلم في أثناء تشييده، وأذن لهم في الفراغ منه بعد أن استأذنوه، مما يدل على موافقته ومباركته صلى الله عليه وسلم لبناء الآطام على الرغم من أنه صلى الله عليه وسلم نهى عن بنائها.

- تناولت الدراسة بالتفصيل أسماء الآطام، أو الأطوم التي تنوعت سواء داخل، أو خارج المدينة بالجزيرة العربية، ويمكن حصر هذه الآطام بشقيها المسماة وغير المسماة من خلال ترتيبها الوارد بالبحث على النحو الآتي:

- أطم الأضبط بصنعاء، المنسوب إلى الأضبط بن قريع بن عوف.

- الآطام بنجران، التي ذكرت في الشعر بدون أسماء.

- أطم عاصم بقباء لرجل من اليهود يقال إنه من بني النضير.

- آطام بني ناغصة منها: أطم الزبير بن باطا القرظي، وأطم كعب بن أسد، الذي يقال له بلحان، وأطم في المال الذي يقال له فاضحة، وأطم في زقاق الحارث، وأطم البويلة.

- آطام منازل قبائل الأنصار من الأوس، وهي: واقم، والرعل، والمسير، والريان، والشنيف، وأطم في دار عبد الله بن أبي أحمد، كان لكلثوم بن الهدم، وأطم واقم، وكان في رحبة بني زيد بن مالك بن عوف أربعة عشر أطمًا يقال لها الصياصي، وأطم بالمسكبة شرقي مسجد قباء، وآطام: المستظل، والضحيان، والهجيم، والسعدان، والزيدان، والأطم الذي عند بئر عائشة الواقفي، والموجا، والعذق، والأطم الذي كان في دار آل رويفع، وشاس كان لشاس بن قيس أخي بني عطية بن زيد، وصع ذرع، وأطم أمية بن عامر بن خطمة.

- آطام قبائل الأنصار من الخزرج ، وهي: الأطم الذي كان لبني امرىء القيس بن مالك، وأطم السنح، ويقال بل اسمه الريان، والأجرد، والمزدلف الذي بناه عتبان بن مالك للحروب فقط، والشماخ، والقواقل، ومزاحم لعبد الله بن أبي سلول، وأطم كان بين مال عمارة بن نعيم البياضي وبين مال ابن زمانة، وأطم غير مسمى، وأطم بني حرام، وآطام: الأغلب، وخيط، ومنيع، والأشنق، والأطول، والمذاد، وجاعس لعمرو بن الجموح، وأخنس، وآطام بني بياضة وزريق ابنا عامر، وهي تسعة عشر أطمًا منها: أسود، وعقرب، وسويد، واللواء، ومنها أطم كان في السرارة، واللواء، والأطم الذي في أدنى بيوت بني بياضة، وأطم في زاوية دار كبير بن الصلت بالمصلى، والريان، والأطم الذي في شامي أرض فراس، والأطم الذي كان لبني المعلى بن لوذان، ومعرض، وهو آخر أطم بني بالمدينة، والأطم الذي في دار أبي دجانة، والأطم الذي عند خوخة عمرو بن أمية الضمري، وآطام: واسط، وفويرع، وفارع، ومشعط، والسلج، والأطم الذي كان في دار آل حيي بن أخطب، والأطم الذي كان في دار سرجس مولى الزبير، وأطم بني عدي بن النجار، وأطم الزاهرية، امرأة سكنته، وآطام: واسط، والمنيف، وراتج.

- تناولت الدراسة الآطام في صدر الإسلام، ثم تأثرها بعد غزوتي الخندق، وبني قريظة، وكان أن أخربت في عهد الخليفة عثمان بن عفان (٢٣-٣٥هـ/٦٤٤-٦٥٦م) رضي الله عنه.

موقع منطقة المدينة المنورة بالنسبة للمملكة العربية السعودية عن وكالة الآثار والمتاحف، آثار منطقة المدينة المنورة، سلسلة آثار المملكة العربية السعودية، الرياض، ١٤٢٣هـ/٢٠٠٣م.

حرة خيبر عن وكالة الآثار والمتاحف، آثار منطقة المدينة المنورة، سلسلة آثار المملكة العربية السعودية، الرياض، ١٤٢٣هـ/٢٠٠٣م.

جبل أحد عن وكالة الآثار والمتاحف، آثار منطقة المدينة المنورة، سلسلة آثار المملكة العربية السعودية، الرياض، ١٤٢٣هـ/٢٠٠٣م.

قلعة الفرع بالعيص من الداخل عن وكالة الآثار والمتاحف، آثار منطقة المدينة المنورة، سلسلة آثار المملكة العربية السعودية، الرياض، ١٤٢٣هـ/٢٠٠٣م.

حصن مرحب عن وكالة الآثار والمتاحف، آثار منطقة المدينة المنورة، سلسلة آثار المملكة العربية السعودية، الرياض، ١٤٢٣هـ/٢٠٠٣م.

حواشي البحث:

(١) ذكر عثمان أنه بالرغم من كثرة الأطوم بالمدينة إلا أن جمع الكلمة على آطام كان هو الشائع في الاستخدام ، ويجوز اللغويون استخدام جمع القليل على الجمع الكثير . مزيد من التفاصيل أنظر : عثمان ، محمد عبد الستار ، آطام المدينة المنورة ، موسوعة مكة المكرمة والمدينة المنورة ، مؤسسة الفرقان للتراث الإسلامي ، فرع موسوعة مكة المكرمة والمدينة المنورة ، ١٤٢٨هـ/٢٠٠٧م ، ص٨٤ .

(٢) الباشا ، حسن ، مدخل إلى الآثار الإسلامية ، دار النهضة العربية ، القاهرة ، ص٢٤.

(٣) ذكر الباشا أن عمارة الآطام ازدهرت في بلاد العرب منذ بداية العصر الميلادي . الباشا ، مدخل ، ص٢٢ .

(٤) يثرب : قال الزركشي : "وأما تسميتها بيثرب ، ففي معجم البكري : سميت بيثرب بن وائل من بني إرم بن سام بن نوح ، لأنه أول من نزلها ، وقال ابن دقيق العيد في شرح الإمام : اختلفوا في يثرب . هل هو اسم يرادف المدينة ، أو هو اسم لقطر محدود ، والمدينة في ناحية منه ؟ وعن أبي عبيد : يثرب اسم أرض ومدينة الرسول صلى الله عليه وسلم في ناحية منها . وقال الماوردي في يثرب وجهان ، أحدهما : المدينة حكاه ابن عباس . والثاني : أن المدينة في ناحية من يثرب قاله أبو عبيدة . وفي الكشاف : يثرب اسم للمدينة . وقيل أرض وقعت المدينة في ناحية منها . وكذا قال ابن عطية : يثرب قطر محدود ، المدينة في طرف منه . وسميت في القرآن بذلك حكاية عن قول من قالها من المنافقين والذين في قلوبهم مرض ، وقد جاء النهي عن تسميتها بذلك ، لأنه مأخوذ عن السرب . وهو الفساد . أو من التثريب . وهو التوبيخ والملامة . وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يكره الاسم الخبيث ، وروى الإمام أحمد في مسنده من حديث البراء بن عازب رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : من سمى المدينة بيثرب فليستغفر الله . هي طابة" . مزيد من التفاصيل أنظر : الزركشي ، محمد بن عبد الله ، ت٧٩٤هـ/١٣٩١م ، إعلام الساجد بأحكام المساجد ، تحقيق أبو الوفا مصطفى المراغي ، لجنة إحياء التراث الإسلامي ، المجلس الأعلى للشئون الإسلامية ، وزارة الأوقاف ، ط٣ ، القاهرة ، ١٤١٢هـ/١٩٩٢م ، صص٢٣٥-٢٣٦ .

(٥) ذكر جعفر ميرغني أحمد أن مدينة الرسول صلى الله عليه وسلم أنشئت قصدًا على نواة كانت موجودة منذ الجاهلية ، وهي قرية يثرب التي غير الرسول صلى الله عليه وسلم اسمها إلى المدينة . مزيد من التفاصيل أنظر : أحمد ، جعفر ميرغني ، مباحث في تاريخ المدينة على أيام النبي والخلفاء الراشدين ، الجزيرة العربية في عصر الرسول والخلفاء الراشدين ، دراسات تاريخ الجزيرة العربية ، الكتاب الثالث ، مطابع جامعة الملك سعود ، الرياض ، ١٤١٠هـ/١٩٨٩م ، ص٢٧٩ .

(٦) أنظر عن مكة المكرمة : الحربي ، أبو إسحاق ، ت ٢٨٥هـ/٨٩٨م ، كتاب "المناسك" وأماكن طرق الحج ومعالم الجزيرة ، تحقيق حمد الجاسر ، نصوص وأبحاث جغرافية

وتاريخية عن جزيرة العرب (٩) ، منشورات دار اليمامة للبحث والترجمة والنشر ، الرياض ، ط٢ ، ١٤٠١هـ/١٩٨١م ، صص٤٧١-٥٠٠ .

(٧) أنظر عن قبا : الحموي ، شهاب الدين أبي عبد الله ياقوت بن عبد الله الحموي الرومي البغدادي ، ت ٦٢٦هـ/١٢٢٩م ، معجم البلدان ، دار صادر ، ط٢ ، بيروت ، ١٩٩٥م ، مج٤ ، ص٣٠١-٣٠٢ .

(٨)أنظر عن الميل : الحموي ، معجم البلدان ، مج١ ، ص٣٠١-٣٠٢ .

(٩) أنظر عن الفرسخ : الحموي ، معجم البلدان ، مج١ ، ص٣٥-٣٦ .

(١٠) قال الحربي : "وليس في المدينة نفسها إلا ثلاثة أودية : العقيق . وقناة . وبطحان" . مزيد من التفاصيل أنظر : الحربي ، كتاب المناسك ، ص٤١١ .

(١١)الحموي ، معجم البلدان ، مج٥ ، ص٨٢ .

ذكرت سلسلة آثار المملكة العربية السعودية أن منطقة المدينة تقع في الجهة الغربية من المملكة العربية السعودية ، وتبلغ مساحتها ١٤٠,٨٦٨ كيلاً مربعًا ، ويحدها من الشمال منطقتا تبوك وحائل ، ومن الجنوب منطقة مكة المكرمة ، ومن الشرق مناطق حائل ، والقصيم ، والرياض ، ومن الغرب منطقة تبوك والبحر الأحمر ، وهي قاعدة المنطقة وعاصمتها الإدارية ، وتتميز بكثرة حراتها واتساعها ، فالمدينة نفسها تقع عند النهاية الشمالية لأكبر الحرات ، وهي حرة رهط ، أو رهاط ، وتشغل المدينة موقعًا متوسطًا بين الحرات الثلاث التي تعد جزءًا من حرة رهاط وهي : حرة واقم (الحرة الشرقية) ، وحرة الوبرة (الحرة الغربية) ، وحرة شوران ، التي تقع جنوبي المدينة ، وقد شكلت هذه الحرات الثلاث حاجزًا دفاعيًا ساعد على حماية المدينة من الغارات الخارجية للأعداء ، وسهل للمسلمين الدفاع عنها عندما حاول كفار قريش غزوها في غزوة الخندق سنة ٥هـ/٦٢٦م ، ولهذا لجأ المسلمون إلى حفر الخندق في الجهة الشمالية منها فقط ، وإلى الشمال منها توجد حرة خيبر ، وفي الجهة الشمالية الغربية من المنطقة توجد حرتا الرحا وعويرض . مزيد من التفاصيل أنظر : وكالة الآثار والمتاحف ، وزارة المعارف ، المملكة العربية السعودية ، آثار منطقة المدينة المنورة ، سلسلة آثار المملكة العربية السعودية ، الرياض ، ١٤٢٣هـ/٢٠٠٣م ، مج٣ ، صص٢١-٢٣ . أنظر أيضًا : سالم ، السيد عبد العزيز ، تاريخ العرب في عصر الجاهلية ، مؤسسة شباب الجامعة ، الإسكندرية ، ص٣٨٦ .

(١٢) الزركشي ، إعلام الساجد ، ص٢٣٢ .

(١٣)أورد ابن النجار ما نصه : "أنبأنا ذاكر بن كامل قال ... للمدينة في التوراة أحد عشر اسمًا" ، وفي موضع آخر أورد ما نصه : "قال عبد العزيز بن محمد : وبلغني أن لها في التوراة أربعين اسمًا" . ابن النجار ، أبو عبد الله البغدادي ، ت ٦٤٧هـ/١٢٤٩م ، الدرة الثمينة في تاريخ المدينة ، تقديم وتحقيق وتعليق محمد زينهم محمد عزب ، من تراث الجزيرة العربية ، مكتبة الثقافة الدينية ، القاهرة ، ١٩٩٥م ، صص٣٢-٣٤ .

وفي ذلك أورد السمهودي ما نصه : "أعلم أن كثرة الأسماء تدل على شرف المسمى ، ولم أجد أكثر من أسماء هذه البلدة الشريفة ، وقد استقصيتها بحسب القدرة حتى إني زدت على شيخ مشايخنا المجد الشيرازي اللغوي – وهو أعظم الناس في هذا الباب – نحو ثلاثين اسمًا ، فرقمت على ذلك صورة ليتميزوها ، وأنا أوردها مرتبة على حروف المعجم" ، وقد بدأ السمهودي بالاسم الأول "أثرب" ، وانتهى إلى الاسم الأخير رقم (٩٤) ، وهو "يندر" . مزيد من التفاصيل أنظر : السمهودي ، نور الدين علي بن أحمد ، ت٩١١هـ/١٥٠٦م ، وفاء الوفا بأخبار دار المصطفى ، حققه ، وفصله ، وعلق حواشيه ، محمد محي الدين عبد المجيد ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان ، ١٣٧٤هـ/١٩٥٥م ، ص٨ .

(١٤) الحموي ، معجم البلدان ، مج٥ ، صص٨٢-٨٣ .

(١٥)الزركشي ، إعلام الساجد ، ص٢٣٢ .

(١٦)ابن النجار ، الدرة الثمينة ، صص٦٥-٦٨ . أنظر أيضًا : الحموي ، معجم البلدان ، مج٥ ، ص٨٣-٨٤ .

(١٧)كالجوهري ، والزمخشري ، وابن منظور . مدني ، عبيد ، أطوم المدينة المنورة ، مجلة كلية الآداب ، جامعة الرياض ، المجلد الثالث ، السنة الثالثة ، ١٣٩٣-١٣٩٤هـ/١٩٧٣-١٩٧٤م ، ص٢٢٢ .

(١٨)كياقوت الحموي ، والبغدادي . مدني ، أطوم المدينة المنورة ، صص٢٢٢-٢٢٣ .

(١٩) مدني ، أطوم المدينة المنورة ، صص٢٢٢-٢٢٣ .

(٢٠) اليمامة : "منقول عن اسم طائر يقال له اليمام واحدته يمامة ... واليمامة في الإقليم الثاني ... وفي كتاب العزيزي : إنها في الإقليم الثالث ... وكان فتحها وقتل مسيلمة الكذاب في أيام أبي بكر الصديق ، رضي الله عنه" . مزيد من التفاصيل أنظر : الحموي ، معجم البلدان ، مج٥ ، صص٤٤١-٤٤٢ .

(٢١)أنظر عن خيبر : الحموي ، معجم البلدان ، مج٢ ، ص٤٠٩ .

(٢٢)أنظر عن تيماء : الحموي ، معجم البدان ، مج٢ ، ص٦٧ .

(٢٣)الطائف : "بعد الألف همزة في صورة الياء ثم فاء : وهو في الإقليم الثاني ، وبالطائف عقبة وهي مسيرة يوم للطالع من مكة ونصف يوم للهابط إلى مكة ..." . الحموي ، معجم البلدان ، مج٤ ، ص٨ .

(٢٤) صنعاء : قال ياقوت الحموي : "منسوبة إلى جودة الصنعة في ذاتها ... والنسبة إليها صنعاني على غير قياس ... وصنعاء : موضعان أحدهما باليمن ، وهي العظمى ، وأخرى قرية بالغوطة من دمشق ... فأما اليمانية فقال أبو القاسم الزجاجي : كان اسم صنعاء في القديم أزال ... وصنعاء قصبة اليمن وأحسن بلادها ... وقيل : سميت بصنعاء بن أزال بن يقطن بن عابر بن شالخ وهو الذي بناها ..." . مزيد من التفاصيل أنظر : الحموي ، معجم البلدان ، مج٣ ، صص٤٢٥-٤٢٦ .

(٢٥) نجران : قال ياقوت الحموي : "بالفتح ثم السكون ، وآخره نون ... ونجران في عدة مواضع ، منها : نجران في مخاليف اليمن من ناحية مكة ، قالوا : سمي بنجران بن زيدان ..." . مزيد من التفاصيل أنظر : الحموي ، معجم البلدان ، مج٥ ، ص٢٦٦ .

(٢٦)مدني ، أطوم المدينة المنورة ، ص٢٢٣ .
(٢٧)الحموي ، معجم البلدان ، مج١ ، ص٢١٩ .
(٢٨) لم يرد لفظ القليل في نص ابن منظور الذي أورده المؤرخ السيد عبيد مدني في بحثه عن "أطوم المدينة المنورة" . أنظر : مدني ، عبيد ، أطوم المدينة المنورة ، ص٢١٤ .
(٢٩) جاء في سلسلة آثار المملكة العربية السعودية ، آثار منطقة المدينة المنورة أن المؤرخ عبيد مدني كتب مقالة مهمة بعنوان "آطام المدينة المنورة" ، نشرها في مجلة كلية الآداب بجامعة الرياض (جامعة الملك سعود حاليًا) عام ١٣٩٣هـ/١٩٧٤م ، والواقع أن هذه المقالة جاءت بعنوان "أطوم" وليس "آطام" المدينة المنورة هذا من ناحية ، ومن ناحية أخرى فإن سنة النشر هي ١٣٩٣-١٣٩٤هـ/١٩٧٣-١٩٧٤م ، وقد ذكر مدني أنه من المؤسف جدًا أنه لم يبق من تلك الأطوم الكثيرة ولا أطم واحد محتفظًا بكليته كاملة نتخذ منه نموذجًا ينقذنا من متاهات الاستنتاج والقياس فلم يسلم من عوادي الجوائح الطبيعية العاتية وأيدي العابثين من الجهلاء منذ القديم غير طلول متناثرة لبعضها وغير بقايا للقليل منها استعصت على الحدثان فظلت متماسكة ، ولكننا إذا أمعنا في تحليل ما قيل عنها وأضفنا ما يشف عنه ما شخص من آثارها فقد نلم – إن لم نحط – بشيء مما نتوخاه . أنظر : مدني ، أطوم المدينة المنورة ، ص٢١٣ ، وكالة الآثار والمتاحف ، آثار منطقة المدينة المنورة ، ص٥٢ .
(٣٠) ورد هذا الاسم الأخبط في بحث عبيد مدني ، والاسم الصحيح الأضبط ، فضلاً عن بعض الملاحظات الأخرى التي يمكن ملاحظتها من خلال المقارنة بين ما ورد عند عبيد مدني في نص ابن منظور ، وما ورد من قبلي هنا في نفس النص . مزيد من التفاصيل أنظر : مدني ، أطوم المدينة المنورة ، ص٢١٤ .
(٣١) ورد هذا اللفظ عند عبيد مدني بالغصب . مدني ، أطوم المدينة المنورة ، ص٢١٤ .
(٣٢) هنا أنهى عبيد مدني نص ابن منظور وقال : "وأثبت قول ابن منظور على طوله لأنه اشتمل على نقول الكثيرين ممن سبقوه مع تحري الإستقصاء فكفانا مؤونة ذكر ما قاله اللغويون عن الآطام المتقدمون عنه والمتأخرون كابن دريد في الجمهرة والثعالبي في فقه اللغة والجوهري في الصحاح والزمخشري في الأساس والفيروز بادي في القاموس المحيط وشارحه الزبيدي في التاج وأضرابهم الكثيرين ، ومنهم من ذكر معظم ما رواه ومنهم من اقتصر على جزء منه" . مدني ، أطوم المدينة المنورة ، ص٢١٥ .
(٣٣) ابن منظور ، أبي الفضل جمال الدين محمد بن مكرم الإفريقي المصري ، ت ٧١١هـ/١٣١١م ، لسان العرب ، دار صادر ، ط٨ ، بيروت ، ٢٠١٤م ، مج١ ، ص١١٩ .
(٣٤) الحصن في المصطلح الأثري المعماري هو البناء الذي لا يوصل إلى داخله إلا بقتال ، وكان على نوعين ، أحدهما عبارة عن بناء منفصل قائم بذاته كان يبنى في الثغور الساحلية وطرق القوافل التجارية والمواقع الاستراتيجية الحساسة المشرفة على حدود الدولة ، والآخر عبارة عن بناء متصل على هيئة برج في سور ، أو قلعة ، أو خان ، ونحو ذلك . مزيد من التفاصيل أنظر : غالب ، عبد الرحيم ، موسوعة العمارة الإسلامية عربي – فرنسي – إنكليزي ، ط١ ، بيروت ، ١٤٠٨هـ/١٩٨٨م ، ص١٣٣ ، رزق ، عاصم محمد ، معجم مصطلحات العمارة والفنون الإسلامية ، مكتبة مدبولي ، ط١ ، القاهرة ، ٢٠٠٠م ، ص٨١ ، المصري ، وفاء السيد أحمد شرف ، المصطلحات

المعمارية بوثائق الوقف المملوكية (٦٤٨-٩٢٣هـ/١٢٥٠-١٥١٧م) دراسة أثرية حضارية ، رسالة دكتوراه غير منشورة ، قسم الآثار الإسلامية ، كلية الآداب ، جامعة سوهاج ، مج١ ، صص٩٤٧-٩٥٠ .

(٣٥) ابن منظور ، لسان العرب ، مج٤ ، ص١٤٤ .

(٣٦)أضاف مدني في هذا الصدد أن للأستاذ عبد الله العلايلي اللغوي اللبناني المعاصر مفهوم خاص أفضى به في معجمه : "وملحظ النسبة تضييق مداخله مثل تضييق فوهة الآبار ويترجح عندي أنه يعني تمامًا ما تعنيه كلمة (فر Chateau) أي بيت محصن في عصور الإقطاع مثاله شعرًا :

وتبدلت من مساكن قومي والقصور التي بها الآطام

بازاء أنج (Blockhouse) فر أبو قطيفة Blockhouse

حصن من مواد متيسرة ذو كوى لإطلاق البنادق والمدافع ..." ، وترد مادة أطم في السريانية بمعنى سد ، ويقول د . إسرائيل ولفنسون اليهودي : " ... فإن معناها بالعربية غير معناها بالعبرية يقول صاحب الروض الأنف : الأطم مأخوذ من ائتطم إذا ارتفع وعلا يقال ائتطم على فلان إذا غضب وانتفخ . والآطامات نيران معروفة في الجبال لا تخمد فيها ، تأخذ بعنان السماء فهي أبدًا باقية لأنها في معادن الكبريت . أما العبرية فلفعل أطم معان شتى يقال أطم عينيه أغمضها وأطم أذنيه سدهما والأطم في الجدران والحيطان هي النوافذ المغلقة من الخارج والمفتوحة من الداخل ويستعمل الأطم في السور أي الحائط الضخم . وعلى ذلك يمكننا أن نفترض أن اليهود أطلقوا على الحصن أطم لأنه كان في إمكانهم أن يغلقوا أبوابه وأن كانت له نوافذ تقفل من الخارج وتفتح من الداخل" ، ومما يلاحظ على كلمة ولفنسون اقتصاره على ما قاله السهيلي في الروض دون سواه من المراجع العربية . مزيد من التفاصيل أنظر : مدني ، أطوم المدينة المنورة ، ص٢١٥-٢١٦ .

(٣٧) مدني ، أطوم المدينة المنورة ، ص٢١٣ .

(٣٨) ذكر مدني أن القرآن الكريم – والله أعلم – أشار إلى الآطام بالحصون ، وفي هذا الإطار ذكر عثمان أن لفظ حصن هو الذي ورد في القرآن الكريم ليشير إلى آطام المدينة . عثمان ، آطام المدينة المنورة ، ص٨٥ .

(٣٩) ابن منظور ، لسان العرب ، مج٨ ، ص٣١٥ . قال مدني والصياص جمع صيصة ، وهي الحصن وكل ما يمتنع به صاحبه للدفاع ، وكانت كلمة الصياصي مرادفة لكلمة الآطام ومعروفة الإستعمال قديمًا في بعض الأحايين ، وجاءت غير مرة في مغازي الواقدي بديلة عن الآطام فيما سرد من روايات في غزوة أحد ، وغزوتي بني النضير وبني قريظة ، وقال المرجاني ، وهو أحد مؤرخي المدينة في القرن الثامن الهجري/الرابع عشر الميلادي عن الأطم وقال أبو سليمان الخطابي "هو بناء من الحجارة ومثله الآجام والصياص" . مزيد من التفاصيل أنظر : مدني ، أطوم المدينة المنورة ، ص٢١٣ .

(٤٠) السمهودي ، وفاء الوفا ، ج١ ، صص١٩٠-١٩١ .

(٤١) أنظر عن مصطلح القصر في العمارة الإسلامية : غالب ، موسوعة العمارة الإسلامية ، ص٣١٥ ، رزق ، معجم مصطلحات العمارة والفنون الإسلامية ، صص٢٣٨-٢٤٠ .

(٤٢) ابن منظور ، لسان العرب ، مج١٢ ، ص١١٧ .

(٤٣) ذكر الراشد أن الجزيرة العربية قد اشتهرت منذ أمد بعيد بالقصور ، والحصون ، والآطام ، والقلاع ، والمحافد ، وورد ذكرها في الشعر العربي ، وقد انتشرت هذه المباني الحصينة في الجزيرة العربية ، وظل بعضها باقيًا حتى ظهور الإسلام ، وشاهد بقاياها الجغرافيون المسلمون ، ويأتي في مقدمتهم العلامة الهمداني ، التي استعرض بعضها خاصة تلك التي شاهدها في اليمن ومنطقة اليمامة ، فقد كانت هذه المباني في غاية من المنعة لسماكة بنائها . مزيد من التفاصيل أنظر : الراشد ، سعد عبد العزيز ، الآثار الإسلامية في الجزيرة العربية في عصر الرسول صلى الله عليه وسلم والخلفاء الراشدين (رضي الله عنهم) ، الجزيرة العربية في عصر الرسول والخلفاء الراشدين ، دراسات تاريخ الجزيرة العربية ، الكتاب الثالث ، مطابع جامعة الملك سعود ، الرياض ، ١٤١٠هـ/١٩٨٩م ، ص١٥٤ .

(٤٤) ابن منظور ، لسان العرب ، مج١ ، ص١١٩ .

(٤٥) عثمان ، آطام المدينة المنورة ، ص٨٧ .

(٤٦) السمهودي ، وفاء الوفا ، ج١ ، ص١٩٤ .

(٤٧) عثمان ، آطام المدينة المنورة ، ص٨٧ .

(٤٨) السمهودي ، وفاء الوفا ، ج١ ، ص١٩٠ .

(٤٩) السمهودي ، وفاء الوفا ، ج١ ، صص١٩٠-١٩٣ .

(٥٠) السمهودي ، وفاء الوفا ، ج١ ، صص١٩٦-١٩٧ .

(٥١) السمهودي ، وفاء الوفا ، ج١ ، ص١٩٩ .

(٥٢) السمهودي ، وفاء الوفا ، ج١ ، ص١٩٣ .

(٥٣) السمهودي ، وفاء الوفا ، ج١ ، صص١٩٨-١٩٩ .

(٥٤) ذكر عثمان أن من الآطام ما كان مستدير الشكل مثل أطم الضحيان ، الذي بقيت آثاره في المدينة حتى القرن الرابع عشر الهجري/العشرين الميلادي ، وهذا يخالف وصف هذا الأطم في المصادر . عثمان ، آطام المدينة المنورة ، ص٩٧ .

(٥٥) السمهودي ، وفاء الوفا ، ج١ ، ص١٩٤ .

(٥٦) عثمان ، آطام المدينة المنورة ، ص٩٧ .

(٥٧) الباشا ، مدخل ، ص٢٤ .

(٥٨) السمهودي ، وفاء الوفا ، ج١ ، ص١٩٦ .

(٥٩) ابن هشام ، أبو محمد عبد الملك ، ت ٢١٨هـ/٨٣٣م ، السيرة النبوية ، علق عليها ، وخرج أحاديثها ، وصنع فهارسها عمر عبد السلام تدمري ، دار الكتاب العربي ، ط٥ ، بيروت ، ١٤١٦هـ/١٩٩٦م ، ج٣ ، ص١٤٤ .

(٦٠) يعلق مدني على هذا النص بأن هذا بيان يسترعي الإنتباه إلى ما يرمز إليه من سعة الآطام ، فهي على ما في كلمة ابن أبي تتحمل ألفي شخص بالإضافة إلى أصحابها ، وأن رحباتها على ما في كلمة حيي بن أخطب مستعدة لإيواء مواشي قبيلة غير صغيرة مع ملاحظة أن عددًا من بني النضير كانوا فلاحين ، والزراعة من شأنها الإكثار من تجميع المواشي ولا سيما في ذلك العهد ، كما يشير إلى أن في آطامهم آبارًا تغنيهم عن الخروج للورود ، وأن فيها من الطعام ما يكفيهم سنة هذا من ناحية ، ومن ناحية أخرى نقل مدني أن العباسي نقل عن الشريف الشدقمي في تحديد مسجد بني أنيف بقباء وأنه كان عند أطمهم قوله : "إن المراد بهذا الأطم الحديقة المعروفة بالشدقاء التي بيدنا والحديقة الملاصقة لها من جهة القبلة المعروفة الشديقة مصفرة" ، فماذا يقصد الشريف ؟ أيريد بما قال إن الأطم ومحتوياته كان يشغل هذا الحيز جميعه ؟ أو أن له حديقة تابعة فاعتبرها منه ؟ إن الشدقاء والشديقة معروفتان اليوم ، وهما واسعتان فإن لم يكن في الخبر تحريف ، أو في النقل سقط جاز الخيال أن يجمع في تمثل حجم هذا الأطم ، ولم يجنح الشريف الشدقمي (٩٤٢-٩٩٩هـ/١٥٣٥-١٥٩٠م) وحده لمثل هذا النمط من التعريف ، فقد كان له سلف فيه كمن وصف أطم فاضجة بنظيره على ما يرويه الفيروز بادي (٧٢٩-٨١٧هـ/١٣٢٩-١٤١٥م) لما قال عن فاضجة "كان فيه أطم لبني النضير عامة وهو اليوم خراب وفي مكانه حديقة ذات نخل تعرف بفاضجة" ، وغيره من الأمثال المتشابهة فهل لهذا التوافق مغزى يصح الإرتكاز عليه ؟ . مدني ، أطوم المدينة المنورة ، صص٢١٧-٢١٨ .

(٦١) السمهودي ، وفاء الوفا ، ج١ ، ص١٦٣ .

(٦٢) السمهودي ، وفاء الوفا ، ج١ ، ص١٩٦ .

(٦٣) السمهودي ، وفاء الوفا ، ج١ ، ص٢٠٠ .

(٦٤) السمهودي ، وفاء الوفا ، ج١ ، ص١٩٤ .

(٦٥) السمهودي ، وفاء الوفا ، ج١ ، صص١٦٢-١٦٣ .

(٦٦) السمهودي ، وفاء الوفا ، ج١ ، ص٢١٣ .

(٦٧) أنظر عن مصطلحات المنارات ، والمآذن ، والصوامع ، والمنار : دللي ، ولفرد جوزف ، العمارة العربية بمصر في شرح المميزات البنائية الرئيسية للطراز العربي ، ترجمة محمود أحمد ، أشرف على إعداد هذه الطبعة وقدم لها محمد أبو العمائم ، سلسلة الألف كتاب الثاني ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، الأعمال المختارة ، ط٢ ، القاهرة ، ٢٠٠٠م ، ص٦٨ ، موسى ، عبد الله كامل ، المآذن في العمارة المصرية والعالم الإسلامي ، دار الوفاء لدنيا الطباعة والنشر ، ط١ ، الإسكندرية ، ٢٠١٤م ، مج٢ ، صص٩-١٨ .

(٦٨) يعد هذا اللفظ من الألفاظ التي أطلقت على المئذنة قال ابن منظور : " المئذنة موضع الأذان للصلاة وقال اللحياني : هى المنارة يعني الصومعة . ابن منظور : لسان العرب ، ج١ ، ص ٥٣ ،

Creswell,(K.A.C), The Evolution of the Minaret, Burlington, Magazine, Mars, Mai, June, 1926, P.1, Abouseif, (D.B.), THE Minarets of Cairo, THE American University in Cairo Press, 2010, P. 11. , Bloom, Jonathan, Minaret Symbol of Islam, Published by Oxford University Press for the Board of the Faculty of Oriental Studies, University of Oxford, pp.29-31.

(٦٩) ابن منظور ، لسان العرب ، ج٣ ، صص٢٢٨-٢٢٩ .
(٧٠) سالم ، تاريخ العرب ، ص١٣ .
(٧١) الحموي ، معجم البلدان ، مج٥ ، ص٨٤ . أنظر أيضًا : السمهودي ، وفاء الوفا ، ج١ ، ص١٥٧ .
في هذا الصدد ذكر عثمان ثلاث روايات ، رواية ياقوت الحموي التي نحن بصددها ، ورواية لابن خلدون ، ورواية للسمهودي . مزيد من التفاصيل أنظر : عثمان ، آطام المدينة المنورة ، ص٨٧-٨٨ .
(٧٢) الحموي ، معجم البلدان ، مج٥ ، ص٨٤ .
ذكر سالم أن جواد علي يستبعد الرواية الأولى لافتقارها إلى سند ، ويميل إلى الأخذ برواية بني قريظة إذ تتضمن شيئًا من الحق . مزيد من التفاصيل أنظر : سالم ، تاريخ العرب ، ٣٩١ .
(٧٣) ابن النجار ، الدرة الثمينة ، ص٣٥ . أنظر أيضًا : السمهودي ، وفاء الوفا ، ج١ ، ص١٥٨ .
(٧٤) ابن النجار ، الدرة الثمينة ، ص٣٥ .
(٧٥) ابن النجار ، الدرة الثمينة ، ص٣٦ .
(٧٦) بطحان : بالضم ثم السكون ، أحد أودية المدينة الثلاثة ، وهي العقيق ، وبطحان ، وقناة . مزيد من التفاصيل أنظر : الحموي ، معجم البلدان ، مج١ ، ص٤٤٦ .
(٧٧) أنظر عن القف : الحموي ، معجم البلدان ، مج٤ ، ص٣٨٣ .
(٧٨) ابن النجار ، الدرة الثمينة ، ص٣٧ .
(٧٩) أدت الثورات التي قام بها اليهود في أورشليم على الرومان إلى قيام هؤلاء بتشتيتهم وطردهم من فلسطين ، وتهديم معبدهم على يد الإمبراطور الروماني طيطس في سنة ٧٠م . مزيد من التفاصيل أنظر : علي ، جواد ، تاريخ العرب قبل الإسلام ، من مطبوعات المجمع العلمي العراقي ، بغداد ، ١٩٥٠-١٩٥٩م ، ج٤ ، ص١٧٨ ، سالم ، تاريخ العرب ، صص٣٩٢-٣٩٣ .
(٨٠) مذينب : واد بالمدينة . مزيد من التفاصيل أنظر : الحموي ، معجم البلدان ، مج٥ ، ص٩١ .
(٨١) ذكر ياقوت الحموي مهزور بفتح أوله ، وسكون ثانيه ثم زاي ، وواو ساكنة ، وراء ، وذكر مهزور ومذينب : واديان يسيلان بماء المطر خاصة . مزيد من التفاصيل أنظر : الحموي ، معجم البلدان ، مج٥ ، ص٢٣٤ .

(٨٢) كان الأوس والخزرج يؤرخون بعام الآطام لما تحاربوا عليها . أنظر : مدني ، أطوم المدينة المنورة ، ص٢٢٤ .
(٨٣)ابن النجار ، الدرة الثمينة ، صص٣٧-٣٨ .
(٨٤) أدت الثورات التي قام بها اليهود في أورشليم على الرومان إلى قيام هؤلاء بتشتيتهم وطردهم من فلسطين ، وتهديم معبدهم على يد الإمبراطور الروماني طيطس في سنة ٧٠م . مزيد من التفاصيل أنظر : علي ، جواد ، تاريخ العرب قبل الإسلام ، من مطبوعات المجمع العلمي العراقي ، بغداد ، ١٩٥٠-١٩٥٩م ، ج٤ ، ص١٧٨ ، سالم ، تاريخ العرب ، صص٣٩٢-٣٩٣ .
(٨٥) في هذا الإطار أيضًا ذكر مدني أن دائرة المعارف الإسلامية المترجمة سارت مع هذا الوهم الذي ينسب الآطام في نشأتها لليهود ، وألقت التبعة فيه على كتاب العرب دون تمحيص ولا تعيين الذين أكدوه ولا كيف أكدوه ، وعلقت عليه بملاحظة مرتبكة الأداء ، وأضاف مدني أن إسرائيل ولفنسون المؤرخ اليهودي لم يجزم في هذا الأمر ، ولكنه يرجح أن فكرة إقامة الحصون والآطام في شمال الجزيرة العربية على قمم الجبال أتى بها اليهود ، وهذا سبب لا يكفي لدعم الترجيح في رأي مدني ، حيث يرد بأنه إن انطبق ما قاله ولفنسون عن مواقع بعض الآطام في شيء من المنطقة الشمالية من أنها أقيمت ، أو أقيم قسم منها على رؤوس الجبال فلا ينطبق ذلك على آطام المدينة التي تقف على السهول وأطراف الحرار . مزيد من التفاصيل أنظر : مدني ، أطوم المدينة المنورة ، صص٢٢٠-٢٢٢ .
(٨٦) ابن النجار ، الدرة الثمينة ، ص٣٨-٣٩ .
(٨٧) عثمان ، آطام المدينة المنورة ، ص٩٤ .
(٨٨) ابن النجار ، الدرة الثمينة ، ص٣٩ .
(٨٩) السمهودي ، وفاء الوفا ، ج١ ، ص١٦٢-١٦٣ .
(٩٠)الحموي ، معجم البلدان ، مج٥ ، ص٨٣ .
(٩١)ذكر مدني في بحثه العدد (١١) لآطام من كان بالمدينة من العرب الذين كانوا نازلين فيها ، والصحيح أن العدد (١٣) ، وأعتقد أن الخطأ من الأخطاء المطبعية . مدني ، أطوم المدينة المنورة ، ص٢٢٣ .
(٩٢) ابن النجار ، الدرة الثمينة ، ٣٩ .
(٩٣)سالم ، تاريخ العرب ، صص٣٩٥-٣٩٦ .
(٩٤) ابن النجار ، الدرة الثمينة ، ص٤٠-٤١ .
(٩٥) السمهودي ، وفاء الوفا ، ج١ ، ص١٦٣ . مزيد من التفاصيل عن الآطام أنظر : السمهودي ، وفاء الوفا ، ج١ ، صص١٦٣-١٦٥ .
(٩٦) سالم ، تاريخ العرب ، صص٣٩٧-٣٩٨ .
(٩٧) ابن النجار ، الدرة الثمينة ، ص٤١ .
(٩٨) ابن النجار ، الدرة الثمينة ، ص٤١-٤٢ . أنظر أيضًا : الحموي ، معجم البلدان ، مج٥ ، ص٨٥ .

(٩٩) ابن النجار ، الدرة الثمينة ، ص٤٢ . أنظر أيضًا : الحموي ، معجم البلدان ، مج٥ ، صص٨٥-٨٦ .

(١٠٠) السمهودي ، وفاء الوفا ، ج١ ، صص١٩٠-١٩١ .

(١٠١) السمهودي ، وفاء الوفا ، ج١ ، صص١٩٤-١٩٦ .

(١٠٢) مدني ، أطوم المدينة المنورة ، ص٢١٨ .

(١٠٣) مدني ، أطوم المدينة المنورة ، صص٢١٨-٢١٩ .

(١٠٤) السمهودي ، وفاء الوفا ، ج١ ، صص١٩٦-١٩٧ .

(١٠٥) السمهودي ، وفاء الوفا ، ج١ ، صص١٩٨-١٩٩ .

(١٠٦) السمهودي ، وفاء الوفا ، ج١ ، ص٢٠٠-٢٠٧ .

(١٠٧) السمهودي ، وفاء الوفا ، ج١ ، صص٢٠٨-٢١٤ .

(١٠٨) مدني ، أطوم المدينة المنورة ، ص٢٢٤ .

(١٠٩) عثمان ، آطام المدينة المنورة ، ص٨٥ .

(١١٠) عثمان ، آطام المدينة المنورة ، ص٨٥-٨٦ .

(١١١) عثمان ، آطام المدينة المنورة ، ص٨٦ .

(١١٢) ابن النجار ، الدرة الثمينة ، ص٤٥ .

(١١٣) البخاري ، أبو عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري ، ت٢٥٦هـ/٨٦٩م ، صحيح البخاري ، وهو الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله صلى الله عليه وسلم وسننه وأيامه ، دار ابن حزم للطباعة والنشر والتوزيع ، ط١ ، القاهرة ، ١٤٣٠هـ/٢٠١٠م ، ص٢٢٤ ، مسلم ، أبو الحسين مسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري ، ت ٢٦١هـ/٨٧٤م ، صحيح مسلم ، ترقيم وترتيب محمد فؤاد عبد الباقي ، دار ابن حزم ، ط١ ، القاهرة ، ١٤٣٠هـ/٢٠١٠م ، ص٣٨٠ .

(١١٤) البخاري ، صحيح البخاري ، ص٢٢٤ .

١١٥() ابن النجار ، الدرة الثمينة ، ص٥٣ . أنظر أيضًا : وكالة الآثار والمتاحف ، آثار منطقة المدينة المنورة ، ص٩٨ .

(١١٦) عثمان ، آطام المدينة المنورة ، صص١٠١-١٠٢ .

(١١٧) ابن هشام ، سيرة ، ج١ ، صص١٠١-١٠٢ .

(١١٨) الحسين ، يحيى ، غاية الأماني في أخبار القطر اليماني ، تحقيق سعيد عبد الفتاح عاشور ، دار الكتاب العربي ، القاهرة ، ١٣٨٨هـ/١٩٦٨م ، ج١ ، ص٨٨ .

(119)CRESWELL, THE EVOLUTION OF THE MINARET , P.7 , SAUVAGET , J, LA MOSQUEE DE MEDINE, PARIS, 1947, P. 126.

(120)CRESWELL, THE EVOLUTION , P. 7 . , SAUVAGET , LA MOSQUEE , P. 126 .

(121) ابن عبد الحكم ، أبى القاسم عبد الرحمن بن عبد الله بن عبد الحكم بن أعين القرشى المصري ، ت ٢٥٧هـ/٨٦٧م ، فتوح مصر وأخبارها (صفحات من تاريخ مصر – ١٠) ، مكتبة مدبولى ، القاهرة ، ط١ ، ١٤١١هـ/ ١٩٩١م ، ص٩٧ .

١٢٢ () ابن هشام ، السيرة النبوية ، ج٣ ، ص١٧١ .

(١٢٣) سلع : "بفتح أوله ، وسكون ثانيه ، السلوع : شقوق في الجبال ، واحدها سلع ... وسلع : جبل بسوق المدينة ، قال الأزهري : سلع موضع بقرب المدينة ..." . الحموي ، معجم البلدان ، مج٣ ، ص٢٣٦ .

(١٢٤) ابن النجار ، الدرة الثمينة ، ص١٣٦ .

(١٢٥) أحمد ، مباحث في تاريخ المدينة ، ص٢٨٢ .

(١٢٦) مدني ، أطوم المدينة المنورة ، صص٢٢٥-٢٢٦ .

(١٢٧) عثمان ، آطام المدينة المنورة ، ص١٠٢ .